دراسة نقدية لتاريخ تأسيس أو إعادة إعمار بعض البلدان النجدية

د. فهد بن عبدالعزيز الدامغ
قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

يعد توثيق تاريخ تأسيس المدن والقرى، أو إعادة إعمارها جزءًا مهمًا في سجل تاريخ أي بلد، وتاريخ تأسيس بعض مدن وقرى بلادنا، وتعاقب إعادة إعمارها لا زال بحاجة إلى مزيد من العناية والدراسة، سواء في جانب تتبعه واستقصاء ما يتصل به في مختلف المصادر، أو في جانب التمحيص والنقد، وتلافي ما قد يشوب بعضه من تناقضات وأخطاء.

ولعل ندرة المعلومات، وتعارض القليل الموجود منها واضطرابه في بعض الأحيان، يعد من أبرز الصعوبات التي تواجه الباحث في جوانب تاريخ بعض أقاليم الجزيرة العربية، وإقليم نجد خاصةً يحتل الصدارة في هذا الأمر، فتاريخه يلفه الغموض، ويكاد يطويه النسيان، وخاصة خلال الفترة الممتدة من القرن الثالث الهجري حتى القرن الحادي عشر الهجري(١)، وهي

---

(١) هذه الفترة من تاريخ نجد وصفها الشيخ عبدالله بن خميس بأنها: "حقبة عمياء مجهولة التاريخ مفقودة الأثر". (الدرعية، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٤٢)؛ ووصفها الشيخ =

الفترة التي أسست خلالها كثير من بلدان نجد القائمة حاليًا أو أعيد إعمارها بعد اندثار(٢).

وبسبب عدم تدوين تاريخ تلك الفترة من قبل مؤرخين معاصرين لأحداثها أو قريبي العهد بها، أصبح تحديد تاريخ تأسيس تلك البلدان أو إعادة إعمارها محل اجتهاد وتقدير من قِبَل مؤرخين وباحثين متأخرين تفصلهم عن تلك الأحداث مئات السنين، وبعض هذه التقديرات بعيدة عن الواقع، وتحتاج إلى إعادة نظر لتعارضها مع أخبار نقلية، وقرائن ودلالات عقلية. ولهذا فهي بحاجة إلى دراسة نقدية متأنية تمحص أخبارها في ضوء ما يتوافر من معلومات نقلية معتبرة، ونظرات عقلية فاحصة.

وتأتي هذه الدراسة في هذا الإطار، فهي تتضمن قراءة نقدية لما شاع وانتشر في كثير من المؤلفات عن تحديد تاريخ

= عبدالله البسام بأنها : "فترة قاتمة". (علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ، ج١، ص١١)؛ ووصفها الدكتور عبدالله الشبل: "بأنها أكثر فترات تاريخ نجد جدبًا". (مقدمة تحقيقه لكتاب الأخبار النجدية للفاخري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص١٩).

(٢) يلاحظ أن كثيرًا من البلدان النجدية مرت بأدوار عمرانية متعاقبة حيث أسست فيها مستوطنات، ثم اندثرت، ثم أعيد إعمارها في المكان نفسه أو في مكان مجاور له، واحتفظ المركز العمراني الجديد بالاسم نفسه أو أطلق عليه اسم آخر، وتعاقب دورات العمران هذه أوقع بعض الباحثين في نوع من الخلط أحيانًا، وأدى إلى بعض اللبس. وهذا البحث وإن كان محوره وهدفه دراسة وتحقيق تاريخ عمران البلدة القائمة حاليًا، إلا أنه يعطي نبذة عن التطور التاريخي ودورات العمران والاستيطان السابقة للموضع إن وجدت.

إعادة إعمار أو تأسيس خمس من البلدات النجدية في إقليم سدير هي: روضة سدير، والتويم، وحرمة، والمجمعة، وجلاجل، وقد اخترت هذه البلدات لأنه يوجد في تحديد تاريخ تأسيس كل منها أو إعادة إعمارها خطأ في التقدير، وعلى الرغم من ذلك شاع وانتشر وأصبح من المسلمات لدى كثيرين، ولعل هذه الدراسة تكون بداية لدراسات أخرى لحالات مشابهة.

وسوف تناقش تلك التواريخ من خلال استقراء عدة أمور، منها: ما ورد في رواية التأسيس أو إعادة الإعمار نفسها من أمور تتعارض مع التاريخ المقدر، أو ما ورد في المصدر نفسه أو في غيره من المصادر من أخبار وأحداث أخرى لا تتوافق مع ذلك التاريخ، أو من خلال استنتاجات وأدلة تجمع بين القرائن النقلية والاستنباطات العقلية المنطقية، التي من شأنها أن تجلي الأمر، وتدفع الوهم.

ومن الأمور التي سوف نستعين بها بصفة خاصة في هذه الدراسة قاعدة تقدير التاريخ من خلال عدد تعاقب الأجيال في سلاسل الأنساب، وهذه القاعدة استخدمها بعض المؤرخين وعلماء الأنساب في تقدير التاريخ عند الجهل به أو الشك في صحته، وقد أثنى عليها المؤرخ العلامة ابن خلدون في مقدمة تاريخه، وسماها قانونًا، وحدد لكل مئة من السنين ثلاثة آباء (أجيال)، وذكر أن الحساب وفق ذلك يأتي بنتائج تكون في الغالب صحيحة(٣)، وممن أثنى عليها من

---

(٣) تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج١، ص١٤٣.

الباحثين المعاصرين أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، حيث قال: "وهذه القاعدة في حساب الأجيال، وتقدير عصور الأعلام، قاعدة استقرائية مطردة غير منخرمة"(٤).

وما ذكره ابن خلدون أيدته دراسات حديثة في مجال علم الأنساب استفادت من مناهج وأدوات علوم أخرى، مثل الرياضيات والإحصاء، ومن هذه الدراسات دراسة أعدها الدكتور عماد بن محمد العتيقي، خلص فيها إلى تحديد متوسط تقريبي لفترة الجيل، من خلال تطبيقات عملية على سلاسل أنساب عدد من الأسر والأفراد، وهذا المتوسط يتوافق مع ما ذكره ابن خلدون، كما خلص إلى طريقة حسابية بسيطة توضح العلاقة بين عدد الأجيال في سلاسل الأنساب وعدد السنوات والعكس(٥)، بحيث يمكن بواسطتها تقدير المدى الزمني من خلال عدد الأجيال.

وتأتي الاستعانة بهذه القاعدة في هذه الدراسة باعتبارها دليلاً وقرينة مساعدة، إلى جانب أدلة وقرائن أخرى.

وفي ضوء ما سبق سوف نتتبع دراسة تاريخ تأسيس أو إعادة إعمار البلدات الخمس موضوع الدراسة وفق ما يلي:

---

(٤) مقدمة كتاب "قفار" للدكتور عبد الرحمن الفريح، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٨.

(٥) دليل إنشاء وتحقيق سلاسل الأنساب، الكويت، ٢٠٠١م، ص١١٥-١٢٤. والدكتور عماد العتيقي أستاذ في جامعة الكويت وتخصصه العلمي في مجال الهندسة الكيميائية، وله اهتمام كبير بعلم الأنساب، وهو عضو في جمعية النسابين المحترفين العالمية.

أولاً: روضة سدير

تقع روضة سدير في وسط إقليم سدير على ضفة وادي الفقي المعروف حاليًا بوادي سدير، وتبعد عن مدينة الرياض نحو ١٦٥ كيلاً إلى الشمال الغربي، على دائرة عرض ٢٥ درجة و٣٧ دقيقة شمالاً، وخط طول ٤٥ درجة و٣٣ دقيقة شرقًا(٦).

وللروضة ذكر في المصادر التاريخية والمعاجم الجغرافية القديمة يدل على أنها كانت مركز استيطان قديم تقوم فيه الزراعة، فقد نقل ياقوت عن الحفصي اليمامي (وهو من أهل القرن الثالث الهجري)(٧) قوله عندما ذكر نواحي اليمامة: "الفقي، بفتح الفاء، ماء يسقي الروضة، وهي نخل ومحارث لبني العنبر"(٨)، ونقل عن السكوني (وهو من أهل

---

(٦) هيئة المساحة الجيولوجية السعودية ودارة الملك عبدالعزيز، موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٣، ص٥٦. والروضة تطلق على المكان ذي التربة الخصبة الذي تتجمع فيه مياه الأمطار وتستقر السيول، ويكثر نباته، وسميت روضة لاستراضة الماء فيها. (ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج٧، ص١٦٢؛ ياقوت، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص٢٨٣).

(٧) هو محمد بن إدريس بن أبي حفصة اليمامي، وأسرة آل أبي حفصة من موالي بني أمية، وقد استوطنوا جو الخضارم (الخرج) باليمامة، وأصبح لهم شهرة ومكانة هناك، وبرز منهم عدة شعراء، وكانت لهم صلات جيدة مع خلفاء بني أمية، ثم بعد ذلك مع خلفاء بني العباس أيضًا، ومحمد الحفصي هو أول من ألف كتابًا عن اليمامة، وكتابه مفقود، لكن ياقوت الحموي نقل عنه كثيرًا. (انظر: حمد الجاسر، الحفصي وكتابه عن اليمامة، مجلة العرب، السنة الأولى، ١٣٨٦هـ، ص٦٧٣).

(٨) معجم البلدان، ج٤، ص٢٧٠.

القرن الرابع الهجري)(٩) قوله: "والفقي: واد في طرف عارض اليمامة من قبل مهب الرياح الشمالية، قيل هو لبني العنبر بن عمرو من تميم، نزلوها بعد قتل مسيلمة، لأنها خلت من أهلها، وكانوا قتلوا مع مسيلمة، وبها منبر"(١٠).

أما الأصفهاني، وهو من علماء القرن الثالث الهجري أيضًا، ويعد من أبرز من أورد معلومات عن إقليم اليمامة وسكانه ومراكز الاستيطان فيه، فقد قال في معرض تتبعه لمنازل بني العنبر: "ثم الروضة، وهي لبلعنبر أيضًا"(١١).

وقال الهمداني (المتوفى في حدود سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م): "ثم تصعد في بطن الفقي فترد الحائط(١٢) حائط بني غُبر(١٣) قرية عظيمة وفيها سوق، وكذلك جمّاز(١٤) سوق في قرية عظيمة أيضًا، ثم تخرج منها إلى الروضة، روضة الحازمي

---

(٩) هو أبو عبيد أحمد بن الحسن بن إسماعيل السكوني، عاش في بغداد وكان من خاصة الخليفة العباسي المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠٢-٩٠٨م)، ألف كتابًا في أسماء مياه العرب، نقل عنه ياقوت معلومات كثيرة في معجم البلدان. (انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، ١٣٥٧هـ، ص٨).

(١٠) معجم البلدان، ج٤، ص٢٦٩.

(١١) بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص٢٦٢.

(١٢) هي ما يسمى بحوطة سدير، مدينة معروفة.

(١٣) بنو غُبر: من بني يشكر بن علي بن بكر بن وائل. (الحازمي، محمد بن أبي بكر، عجالة المبتغي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق عبدالله كنون، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص١٣٨).

(١٤) جمّاز: هو الاسم القديم لبلدة عودة سدير المعروفة، ولا يزال بها موقع يسمى جماز.

وبها النخل وحصن منيع، ثم إلى قارة الحازمي(١٥)، وهي دون قارة العنبر(١٦)، وأنت في النخيل والزروع والآبار طول ذلك"(١٧)، وقال أيضًا: "والفقي لآل حماد من تميم، والحائط لبني تميم"(١٨).

والنصوص السابقة تؤكد وجود مستوطنات في وادي الفقي (سدير) بها نخيل وزروع وآبار ومحارث وحصون وأسواق، ومنها الروضة، وهذه النصوص التي تعود إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين تدل على أن الروضة، كانت مستوطنة زراعية عامرة في ذلك الوقت.

بعد ذلك يأتي ياقوت الحموي، الذي عاش في القرن السادس ومطلع القرن السابع الهجري، أي بعد عصر الهمداني بنحو قرنين ونصف، فيذكر موضعًا سماه روضة

---

(١٥) لعل المراد بها ما كان يعرف بالمديِّنة (تصغير مدينة) وهو موقع بلدة الداخلة المعروفة حاليًا بجوار الروضة.

(١٦) هي قارة بني العنبر المشهورة وقد وصفها الهمداني في أول هذا النص، وتقع في الجنوب الشرقي من حوطة سدير، ولا تزال بعض آثارها موجودة. (عبد الله المعجل، حوطة سدير، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٢١).

(١٧) صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٥٥.

(١٨) المصدر السابق، ص٢٧٤. ويلاحظ أن الهمداني في النص السابق نسب الحائط لبني غُبر وهم من بني يشكر بن بكر بن وائل، وفي هذا النص قال إنها لبني تميم، ويخرَّج هذا على أنه في النص الأول يحكي ما كان من أمرها في عصور سابقة، وفي النص الثاني ما كان عليه الحال في عصره بعد استقرار بني العنبر بن تميم في هذه الديار إثر حروب الردة، أو أن النص الأول وقع فيه تحريف بين كلمتي غبر وعنبر. (عبدالله المعجل، حوطة سدير، ص٣٧-٣٨).

الفقي ويقول إنها في اليمامة[١٩]، ولا يعطي معلومات أكثر، والراجح أنه يقصد الروضة نفسها التي ذكرها كل من الحفصي، والأصفهاني، والهمداني، لكنه لم يبين هل ما زالت بلدة عامرة يقطنها سكان وتقوم فيها زراعة، أم أنها خلت من سكانها وأصبحت روضة يرتادها الرعاة. وياقوت نفسه ذكر موضعًا آخر اسمه (منبجس) ووصفه بأنه قرية لبني العنبر في نواحي اليمامة[٢٠]، والمنبجس موقع معروف ومشهور عند أهل المنطقة، وهو قريب جدًا من مركز بلدة الروضة ويعد من توابعها ويدخل ضمن نطاقها العمراني في العصر الحاضر، وما زال فيه آثار قائمة منسوبة لبني العنبر تؤكد ما ذكره ياقوت، وسوف نشير إليها فيما بعد.

وخلاصة القول إن استقراء النصوص السابقة يفيد أن الروضة كانت إحدى المستوطنات الزراعية في وادي الفقي، وأن سكانها أو أغلبهم كانوا من بني العنبر بن عمرو بن تميم، وأنها استمرت عامرة حتى القرن الرابع الهجري على الأقل، أما المنبجس فقد كانت قرية عامرة في مطلع القرن السابع الهجري كما ذكر ياقوت، وسكانها كانوا من بني العنبر أيضًا.

بعد ذلك يمر تاريخ الروضة بفترة مجهولة اندثرت خلالها هذه البلدة، لكننا لا نستطيع أن نحدد متى كان ذلك، ولا الأسباب التي أدت إليه، فقد يكون نتيجة عوامل اقتصادية مثل: تعاقب القحط والجفاف وانحباس الأمطار، وغور مياه الآبار،

---

(١٩) معجم البلدان، ج٣، ص٩٣.

(٢٠) المصدر السابق، ج٥، ص٢٠٥.

وقد يكون لأسباب سياسية بشرية مثل الصراعات بين القوى المحلية، أو تعرُّض المنطقة لسيطرة قوى بدوية أو حضرية أخرى فرضت نفوذها عليها ومارست ضغوطًا على أهلها أدت إلى جلائهم أو جلاء بعضهم واندثار ديارهم.

إعادة إعمار الروضة:

تتفق الأخبار الواردة في المصادر المحلية لتاريخ نجد(٢١)، والروايات الشفهية المتناقلة عبر الأجيال من قبل المهتمين بتاريخ المنطقة على ربط تاريخ إعادة إعمار بلدة روضة سدير الأخير، الذي استمر إلى عصرنا هذا، برجل يدعى مزروع بن رفيع بن حميد بن حمّاد، وهو من آل حماد من بني العنبر بن عمرو بن تميم.

ومزروع هذا – حسب ما ورد في المصادر – قدم من بلدة قفار المعروفة في منطقة جبل شمّر (حائل) واشترى موقع روضة سدير(٢٢)، وعمره واستوطنه، وكان له أربعة أولاد هم:

---

(٢١) الفاخري، محمد بن عمر، الأخبار النجدية، تحقيق عبد الله بن يوسف الشبل، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص٧٠-٧١؛ ابن بشر، عثمان بن عبد الله، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص٣٢٥؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص٥٦.

(٢٢) لم تذكر المصادر ممن اشتراه، ولعله اشتراه من أهل بلدة الداخلة المجاورة، وهم من النواصر من تميم. (انظر: أحمد عبد الله الدامغ، روضة سدير عبر التاريخ، الرياض، ١٤٢١هـ، ص٤٧).

هلال، وراجح، وسعيد، وسليمان، وقد تكاثروا وتوسعوا في عمارة الروضة وزراعة ما حولها من أراض على ضفتي الوادي، وصار كل واحد منهم جدًا لفرع نسب إليه(٢٣)، وأصبح لكل فرع محلة في البلد تعرف بهم، ثم انقسم كل فرع إلى عدة أسر يحمل كل منها اسمًا خاصًا بها، بعضها ما زال مقيمًا في الروضة، وبعضها انتقل إلى بلدات ومناطق أخرى(٢٤).

تاريخ إعادة إعمار الروضة ومناقشته:

اقتصرت المصادر على ذكر خبر قدوم مزروع من قفار وإعادة إعماره بلدة روضة سدير، ولم يرد فيها تحديد للتاريخ الذي تم فيه ذلك، ثم جاء التحديد بعد ذلك، من باب التقدير، في عدد من المؤلفات الحديثة التي تحدثت عن تاريخ الروضة، أو بعض أسرها وأعلامها، ومن خلال تتبع ما ذكر في هذا الشأن من أقوال وآراء تبين ما يلي:

١ - ذكر عبد العزيز الأزهري في كتابه: "بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ" أنه حين سأل عبد الله بن سليمان

---

(٢٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٢٥؛ ابن بسام، عبد الله بن محمد، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق إبراهيم الخالدي، الكويت، ٢٠٠٠م، ص١١٩-١٢٠.

(٢٤) لمعرفة المزيد عن هذه الأسر انظر: ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص٥٦-٥٨؛ حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢، ص٨١١-٨١٤؛ عبد الله بن محمد أبابطين، روضة سدير، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٣٢-٣٣.

المزروع(٢٥) عن نسب أسرته وتاريخها ذكر له أن قدوم جدهم الأعلى مزروع من قفار إلى الروضة كان في حدود سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م(٢٦)، أما الأزهري نفسه فقد ذكر في موضع آخر من كتابه أنه يقدر تاريخ استقرار مزروع في الروضة بسنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م(٢٧).

٢ - ذكر تركي بن محمد بن ماضي في كتابه: "تاريخ آل ماضي" أن قدوم مزروع من قفار كان في سنة ٦٣٠هـ (١٢٣٠م) على الأصح، وقال إن ذلك ورد في رسالة بعث بها عثمان بن إبراهيم أبو حيمد إمام المسجد الجامع في بلدة عودة سدير إلى عمه الحاج عبد الكريم أبو حيمد في بلد الزبير(٢٨). وذكر في موضع آخر ما يفيد أنه لم

---

(٢٥) الشيخ عبد الله بن سليمان المزروع، ولد سنة ١٣٢٠هـ وهو من أسرة آل مزروع التي يرجع نسبها إلى مزروع الذي أعاد إعمار روضة سدير، وقد درس في كل من الأحساء والبحرين والكويت، وزار الهند ومصر، وله عناية واهتمام كبير بالتاريخ والأنساب، توفي سنة ١٣٨٥هـ. (عبد الله بن بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ، ج٤، ص١٥١-١٥٤).

(٢٦) بنو تميم ومكانتهم في التاريخ والأدب، مطابع دار القلم، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، ص٢٣.

(٢٧) المرجع السابق، ص٢٠.

(٢٨) تاريخ آل ماضي، مطبعة الشبكشي، القاهرة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، ص١٣. وتركي بن محمد بن تركي بن ماضي، ولد في روضة سدير سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) وهو من الشخصيات الإدارية البارزة في مرحلة تأسيس المملكة العربية السعودية، أسندت إليه إمارة غامد وزهران، ثم إمارة نجران، ثم إمارة منطقة عسير، وكان له مشاركة فاعلة في المفاوضات السعودية اليمنية التي انتهت بعقد معاهدة الطائف، توفي سنة ١٣٨٥هـ (انظر: فوزان بن حمد الماضي، بنو تميم عبر التاريخ، مطابع الحميضي، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٤١٦-٤٢٤).

يطلع على هذه الرسالة وإنما بلغه خبرها ومضمونها من عبد الحميد الحمداني(٢٩) في رسالة بعثها إليه في شهر رمضان سنة ١٣٧٤هـ(٣٠). وقد أخذ بما ذكره تركي بن ماضي كل من: أحمد بن عبد الله الدامغ في كتابه "روضة سدير عبر التاريخ"(٣١)، وعبد الله بن محمد البابطين في كتابه "روضة سدير"(٣٢).

٣ - ذكر يوسف بن راشد آل مبارك في بحث كتبه عن أسرة آل مبارك أن انتقال مزروع من قفار واستقراره في روضة سدير كان في القرن الثامن الهجري(٣٣).

٤ - ورد في كتاب "إمارة الزبير بين هجرتين" في التعريف بأسرة آل مزروع في الزبير أن جدهم الأعلى مزروعًا قدم من قفار واستوطن سدير سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م(٣٤).

---

(٢٩) عبد الحميد بن قاسم الحمداني، من أسرة تقيم في بلدة حمدان قرب البصرة، وهذه الأسرة يذكر أنها تنتمي لأسرة آل ماضي وأن جدهم الأعلى قد رحل من روضة سدير في القرن الحادي عشر الهجري واستقر في جنوب العراق، ومن أحفاده أسرة الحمداني (تركي بن ماضي، تاريخ آل ماضي، ص٩٠-٩١).

(٣٠) المرجع السابق، ص٩٢. ويرى الدكتور رشيد العمرو أن الرواية المنسوبة لعثمان أبو حيمد تعد من الأخبار غير الموثقة: (انظر: عبدالرحمن الفريح، قفار، ص٦١، هامش ٣).

(٣١) ص٤١، ٤٤، ٤٦.

(٣٢) ص٣٢.

(٣٣) الأسر العلمية في الأحساء (آل مبارك)، مجلة العرب، السنة الثامنة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٦٦٧.

(٣٤) عبدالرزاق الصانع وعبد العزيز العلي، الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ج١، ص٢٥٤.

٥ - قال سعد بن عبد الله الصويان: "وتذكر مصادر التاريخ النجدية أن مزروعًا جاء من قفار سنة ٦٣٠هـ حسب بعض المصادر، أو سنة ٧٩٠هـ حسب مصادر أخرى، واشترى روضة سدير وعمرها واستوطنها، وتداولتها ذريته من بعده"(٣٥)، ولم يذكر المصادر التي اعتمد عليها في تحديد التاريخ، والواقع أن مصادر التاريخ النجدية حسب المفهوم العلمي لمصطلح مصادر عند المتخصصين في علم التاريخ لم يرد فيها تحديد لتاريخ قدوم مزروع من قفار، وإنما ورد التحديد في مراجع حديثة كما أشرنا من قبل.

٦ - ذكر الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام أن انتقال مزروع من قفار وعمرانه روضة سدير كان في حدود سنة ٨٠٠هـ (١٣٩٦م)، وقد ورد هذا في تراجم عدد من العلماء الذين ينتمون إلى أسر من أحفاد مزروع، مثل الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن دامغ(٣٦)، والشيخ محمد بن عبد الله بن فارس(٣٧)، كما ورد أيضًا في ترجمة الشيخ أحمد بن عبد العزيز آل مبارك(٣٨).

وعند المقارنة بين هذه التواريخ يلاحظ وجود تباعد زمني كبير بين أدناها وأعلاها يبلغ مئتي سنة، هذا من ناحية، ومن

---

(٣٥) الشعر النبطي ذائقة الشعب وسلطة النص، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٤٠٣.

(٣٦) علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج٣، ص٣٥٨.

(٣٧) المرجع السابق، ج٦، ص٢٥٠.

(٣٨) المرجع السابق، ج١، ص٤٨٢.

ناحية أخرى يلاحظ من خلال رصد ما كتب عن روضة سدير وما يرتبط بتاريخها، أن التحديد الذي ذكره تركي بن ماضي وهو سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣١م هو الأكثر انتشارًا في المدونات الوراقية وفي المواقع الإلكترونية أيضًا، ولعل السبب يرجع إلى أن كتابه أول كتاب عني بتاريخ الروضة خاصة، ثم أنه أقدم كتاب منشور في هذا الباب، فأصبح مرجعًا لكثير من المؤلفات اللاحقة.

وعلى أي حال فجميع التواريخ التي ذكرت في تحديد إعادة إعمار روضة سدير على يد مزروع وردت في مراجع حديثة، ولم يستند أي منها على وثائق، أو مصادر قريبة من الحدث تجعلها قطعية الدلالة، بل هي في واقع الأمر تقديرات واجتهادات قابلة للنظر والمناقشة، وخاصة أن بينها فوارق كبيرة، والأهم من هذا أن بعضها يتعارض مع معطيات وقرائن أخرى تجعل قبولها أمرًا مستبعدًا.

فالتحديدات التي ذكرت أن تاريخ إعادة إعمار الروضة تم في أول القرن السابع الهجري (سنة ٦٠٠هـ أو ٦٣٠هـ)، وهي الأكثر تداولاً وانتشارًا، تتعارض مع قاعدة تقدير التاريخ حسب تعاقب الأجيال، وهي قاعدة أشار المؤرخون وعلماء الأنساب إلى أنه يعول عليها، وتعطي نتائج قريبة من الواقع، كما أشرنا من قبل، ولو طبقنا هذه القاعدة استنادًا إلى أحداث معلومة التاريخ، وسلاسل أنساب متصلة إلى مزروع، فسوف نخرج بما يلي:

١ - ذكرت مصادر تاريخ نجد أن أمير مكة الشريف زيد بن محسن(٣٩) سار إلى نجد سنة ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م ونزل الروضة وقتل أميرها ماضي بن محمد بن ثاري، وأجلى أقاربه آل أبو راجح عن الروضة(٤٠). وماضي المذكور هو الذي تنسب إليه أسرة آل ماضي المعروفة في روضة سدير، وهو من أحفاد مزروع، وسلسلة نسبه هي: ماضي بن محمد بن ثاري بن محمد بن مانع بن عبدالله بن راجح بن مزروع(٤١). أي أن عدد الأجيال بين تاريخ وفاة ماضي المعلومة لدينا، وتاريخ وفاة جده الأعلى مزروع التي نسعى إلى تحديد تاريخ تقريبي لها هو سبعة أجيال.

وبتطبيق قاعدة حساب الزمن بناء على تعاقب الأجيال وفق معدل دوران وسطي ثابت هو ثلاثة أجيال لكل مئة

---

(٣٩) زيد بن محسن بن حسين بن أبي نمي الحسني: تولى إمارة مكة سنة ١٠٤١هـ (١٦٣١م) واستمر فيها حتى وفاته سنة ١٠٧٧هـ (١٦٦٦م)، يعد من أقوى أمراء مكة، جمع بين الحزم واللين، وهابه الأشراف، ووسع دائرة نفوذ إمارة مكة (العصامي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ج٤، ص٤٧٢؛ الطبري، محمد بن علي، إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق محمد محسن سليم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج٢، ص٨٤).

(٤٠) المنقور، أحمد بن محمد، تاريخ المنقور، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص٤٧؛ الفاخري، الأخبار النجدية، ص٧٠؛ ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٤١) ابن بسام، تحفة المشتاق، ص١١٩؛ ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص٥٦؛ محمد بن عثمان القاضي، الموسوعة في تاريخ نجد وحوادث ووفيات أعيانها، ص٩٤.

سنة حسب تقدير أغلب علماء النسب والتاريخ، كما أشرنا من قبل، نحصل على ما يلي:

- المدة الفاصلة بين التاريخ المعلوم والتاريخ المراد تحديده تساوي عدد الأجيال بينهما مضروبة في المدة الزمنية المحددة للجيل (٧ × ٣٣,٣٣ = ٢٣٣).
- التاريخ المقدر لوفاة مزروع يساوي تاريخ وفاة ماضي (١٠٥٧هـ) مطروحًا منه المدة الفاصلة بينهما (١٠٥٧ - ٢٣٣ = ٨٢٤)، أي أن التاريخ التقريبي لوفاة مزروع وفق هذا التطبيق هو سنة ٨٢٤هـ.

٢ - لو أجرينا تطبيقًا آخر تكون سلسلة النسب فيه أطول، لأن علماء النسب ذكروا أنه كلما كثر عدد الأجيال كانت نتيجة حساب الزمن أكثر مصداقية وقربًا من الواقع(٤٢)، ولاعتبار آخر يتمثل في أن ماضي بن محمد المذكور في التطبيق السابق مات مقتولاً، وقد يكون سنه صغيرًا نسبيًا حين قتل. وهذا التطبيق سوف يكون على سلسلة نسب أمير روضة سدير، الشاعر النسابة تركي بن فوزان بن تركي الذي توفي سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م) وهو من أحفاد ماضي المذكور، وسلسلة نسبه إلى ماضي هي: تركي بن فوزان بن تركي بن فوزان بن ماضي بن جاسر بن ماضي بن محمد بن ثاري(٤٣)، وبينه وبين جده الأعلى مزروع ثلاثة عشر جيلاً.

---

(٤٢) عماد العتيقي، دليل إنشاء وتحقيق سلاسل الأنساب، ص١١٧.

(٤٣) تركي بن فوزان: تولى إمارة روضة سدير في منتصف القرن الثالث عشرالهجري، واستمر فيها حتى وفاته، وكان معاصرًا للإمام فيصل =

وبإجراء عملية حسابية مشابهة للسابقة نجد أن المدى الزمني لثلاثة عشر جيلاً يعادل ٤٣٣ سنة، وهي تمثل المدة التقريبية الفاصلة بين وفاة تركي بن فوزان ووفاة جده الأعلى مزروع، وبطرحها من تاريخ وفاة تركي وهو سنة ١٢٩٢هـ، تكون النتيجة أن التاريخ التقريبي لوفاة مزروع وفق هذا التطبيق هو سنة ٨٥٨هـ.

٣ - وإذا أجرينا تطبيقًا من نوع آخر لا يكون التتبع فيه من خلال سلسلة نسب فرد، بل من خلال شجرة نسب تتكون من عدة فروع، بأخذ متوسط عدد الأجيال بين الفروع، فسوف نجد أن شجرة نسب أسرة آل بكر، التي تنتمي إلى سعيد بن مزروع(٤٤)، يبلغ متوسط عدد الأجيال فيها بين المعاصرين لإصدار الشجرة في سنة ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م) وجدهم الأعلى مزروع سبعة عشر جيلاً، وهي تعادل من السنين ٥٦٧ سنة تقريبًا، وهذا المدى الزمني يعادل المدة الفاصلة بين وفاة مزروع والجيل المعاصر

= بن تركي، وقد كلفه الإمام ببعض المهمات السياسية فقد بعثه إلى شريف مكة، ثم إلى عباس باشا في المدينة المنورة، ثم أرسله إلى الزبير لمصاحبة حجاج العراق، وهو شاعر نبطي، وله معرفة بالأنساب (انظر: تركي بن محمد بن ماضي، تاريخ آل ماضي، ص٧٠-٧١؛ أحمد الدامغ، الشعر النبطي في وادي الفقي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج١، ص٨٨).

(٤٤) عن هذه الأسرة انظر: حمد الجاسر، أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج١، ص٥٧؛ وعبد الله بن سعد البكر، حول كتاب جمهرة أنساب الأسر، أسر معروفة لم يرد ذكر أنسابها، مجلة العرب، السنة ٢٥، عدد رمضان وشوال ١٤١٠هـ، ص٢٧٤-٢٧٦.

لتاريخ إعداد الشجرة(٤٥)، وبإجراء عملية حسابية مماثلة لما سبق نجد أن التاريخ التقريبي لوفاة مزروع هو سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م.

وبالمقارنة بين نتائج التطبيقات السابقة نجد أنها متقاربة نسبيًا (٨٢٤، ٨٥٨، ٨٤٢) والمعدل الوسطي لها هو ٨٤١هـ. وبناءً عليه فإن التاريخ التقريبي لوفاة مزروع هو سنة ٨٤١هـ، وعلى تقدير أنه عاش نحو ٦٥ سنة فإن تاريخ ولادته يكون في حدود سنة ٧٧٦هـ، وإذا قدرنا أنه حين قدم من قفار واشترى موضع الروضة وأعاد إعمارها كان عمره نحو أربعين سنة، فإن تاريخ إعادة إعمار الروضة يكون في حدود سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م.

وواضح مما سبق أن النتيجة التي أسفر عنها تطبيق قاعدة تقدير تاريخ الأعلام حسب عدد تعاقب الأجيال بعيدة جدًا عن التحديد الذي قدر تاريخ إعادة إعمار الروضة بسنة ٦٠٠هـ أو سنة ٦٣٠هـ، وإذا أضفنا إلى ذلك أن هناك قرائن أخرى تعزز ما أدى إليه التقدير حسب تعاقب الأجيال منها

---

(٤٥) أعد هذه الشجرة وأشرف على إصدارها عبدالله بن سعد بن عبدالرحمن البكر. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أحمد بن فهد العريفي حين ترجم للشاعر المشهور رميزان بن غشام التميمي، وهو أخو حمد بن غشام جد أسرة البكر، ذكر أنه يرجح أن من بين أجداد رميزان جدًا اسمه علي، وذلك بناء على بيت شعر ورد في قصيدة للشاعر النسابة جبر بن سيار يخاطب فيها رميزان ويدعوه بابن علي (انظر: رميزان بن غشام التميمي، حياته وشعره، الرياض، ١٤١٤هـ، ص٣٠)، وما أشار إليه العريفي ينطبق على حمد بن غشام، ولهذا يمكن أن يضاف إلى سلسلة نسبه، ولعل الأقرب أن يكون علي هذا ابنًا لسعيد بن مزروع.

أن إعادة إعمار الروضة مرتبط بوجود مدينة قفار، لأن الرواية تؤكد أن مزروعًا قدم من قفار، وهذا أمر مقبول لأن آل حماد الذين ينتمي إليهم مزروع يعدون من السكان الأوائل لبلدة قفار(٤٦)، إن لم يكونوا هم المؤسسين لها، ومحلة آل حماد في قفار محلة مشهورة وتعد من أقدم المنازل في هذا البلد، وأملاك آل حماد في قفار من أوسع الأملاك في مركز البلد وشرقيها(٤٧)، ولكن السؤال متى أسست مدينة قفار نفسها؟ ولو سلمنا جدلاً أن مزروعًا قدم منها سنة ٦٠٠هـ أو ٦٣٠هـ فمعنى هذا أنها لابد أن تكون موجودة قبل هذا التاريخ، والواقع أننا لا نجد ذكرًا لقفار في المصادر التاريخية والمعاجم الجغرافية خلال تلك الفترة فلم يذكرها نصر الإسكندري (ت ٥٦١هـ)، ولا ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، ولا ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ)، ولم يرد لها ذكر في أخبار القرنين السابع والثامن، وهذا يلقي ظلالاً من الشك حول وجودها في تلك الفترة(٤٨)، ويرى عبدالرحمن

---

(٤٦) عبد الرحمن الفريح، قفار، ص١٠٠، ١٠٦.

(٤٧) المرجع السابق، ص٤١.

(٤٨) أشار الشيخ حمد الجاسر إلى أن تاريخ انتقال بني تميم إلى بلاد جبل شمر واستقرارهم في قفار أولاً، ثم انتشارهم في المنطقة، يكتنفه الغموض (جمهرة أنساب الأسر المتحضرة، ج١، ص٧٨-٧٩). كما أشار أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري إلى غموض تاريخ قفار في هذه الفترة (مقدمة كتاب قفار لعبد الرحمن الفريح، ص٢٠)، وشكك في تحديد تاريخ انتقال مزروع من قفار إلى الروضة بسنة ٦٠٠هـ أو ٦٣٠هـ وقال: لا يقبل هذا التحديد من معاصر دون مستند، ولابد من تمحيص الخبر، أو بيان وجهة النظر الاجتهادية المعاصرة فيه (المرجع نفسه، ص١٨).

السويداء، وهو من الباحثين المهتمين بتاريخ نجد عامة، وبمنطقة حائل خاصة، أن تاريخ تأسيس مدينة قفار يرجع إلى القرن الثامن الهجري نحو سنة ٧٥٠هـ (١٣٤٩م) أو قبله بقليل(٤٩)، وإذا صح هذا التقدير فإن خروج مزروع من قفار واستقراره في الروضة لابد أن يكون بعد هذا التاريخ، وهذه قرينة أخرى تعزز استبعاد تحديد تاريخ قدوم مزروع إلى الروضة وإعادة إعمارها في مطلع القرن السابع الهجري، وتؤيد ما أدى إليه الحساب وفق قاعدة تعاقب الأجيال.

وإضافة إلى هذا وذاك فإن ياقوت الحموي وهو ممن عاش في القرن السادس الهجري ومطلع القرن السابع، ذكر أن بني العنبر لا يزالون موجودين في المنجس الذي سبق أن ذكرنا أنه قريب جدًا من مركز بلدة الروضة، وهو يدخل الآن ضمن نطاقها العمراني، وفيه مقبرة قديمة كبيرة لا تزال تعرف بمقبرة بني العنبر، وفيه أيضًا آبار لا يزال بعضها موجودًا، وفيه آثار مزارع لا تزال رسومها ظاهرة، يضاف إلى ذلك أن أصحاب المزرعة المجاورة لهذا الموقع يذكرون أنهم حين حاولوا شق قناة لجلب مياه السيول من الوادي المجاور ظهرت لهم آثار واضحة لجدران وأساس بنيان، وتنانير، وبقايا رماد، وكسر فخار(٥٠)، وكل هذا يؤكد أن هذا

---

(٤٩) الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد، دار السويداء للنشر، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج١، ص٦٠.

(٥٠) عبد الله أبابطين، روضة سدير، ص١٤، ٢٣-٢٤. ونأمل أن يحظى هذا الموقع، وما يماثله بعناية من الجهات المختصة، وأن تجرى فيه تنقيبات أثرية علمية تكشف عن جانب من تاريخ بلادنا وتسد النقص الظاهر في المدونات المكتوبة.

الموقع وما حوله هو مركز استيطان بني العنبر الذين ذكرهم ياقوت.

وبنو العنبر هؤلاء إن كانوا هم الذين انتقلوا إلى قفار، وهو احتمال وارد، فهذا يعني أن قفارًا لم تظهر إلا بعد عصر ياقوت، ومن ثم يكون لتقدير عبدالرحمن السويداء لتاريخ نشأتها من القرائن ما يسنده، فتاريخ قفار في تلك الفترة الغامضة مرتبط ارتباطًا وثيقًا لا انفكاك منه باستيطان بني تميم فيها، وخاصة بني العنبر، وفي مقدمتهم آل حماد، والذي يهمنا هنا أن إعادة إعمار روضة سدير على يد مزروع مرتبط هو الآخر ارتباطًا وثيقًا لا انفكاك منه بوجود قفار واستيطان بني العنبر فيها، فمزروع قدم منها.

وخلاصة القول إن تاريخ إعادة إعمار روضة سدير على يد مزروع يرجح أنه كان في مطلع القرن التاسع الهجري في حدود سنة ٨٢٠هـ (١٤١٧م) تقريبًا، أي أنه متأخر بنحو قرنين من الزمان عن التاريخ الذي شاع وانتشر وذكر في كثير من المؤلفات والمواقع الإلكترونية وهو سنة ٦٣٠هـ/١٢٣١م.

ثانيًا: التويم

تقع التويم على ضفة وادي المياه (أبا المياه) المعروف في إقليم سدير، وهو واد يحاذي وادي الفقي (سدير) من جهة الشمال، وتبعد عن مدينة الرياض نحو ١٧٠ كيلاً إلى الشمال الغربي، وتبعد عن مدينة المجمعة نحو ٣٥ كيلاً إلى الجنوب، وتبعد عن الروضة ستة أكيال إلى الشمال، وهي على دائرة

العرض ٢٥ درجة و٤٠ دقيقة شمالاً، وخط الطول ٤٥ درجة و٣٣ دقيقة شرقًا(٥١).

والتويم بضم التاء، تصغير توم أو تؤَم(٥٢)، ولتوم ذكر في المصادر التاريخية والمعاجم الجغرافية يدل على أنها كانت مركز استيطان قديم، فقد ذكرها الأصفهاني في معرض حديثه عن سكان منطقة الفقي وما حولها، وقال: "ثم تؤم: لبني حِمَّان بن سعد"(٥٣)، وقال الهمداني في وصف المنطقة: "ثم تخرج منها إلى الروضة الحازمي وبها النخل وحصن منيع، ثم تمضي إلى قارة الحازمي، وهي دون قارة العنبر وأنت في النخل والزروع والآبار طول ذلك، ثم توم، ثم أشي(٥٤)، ثم الخيس(٥٥)، ثم تنقطع

---

(٥١) هيئة المساحة الجيولوجية السعودية ودارة الملك عبد العزيز، موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، ص٥٧٥؛ سعود بن عبد الله الحزيمي ومحمد بن عبد الله المفيز، التويم بين الماضي والحاضر، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٢٥.

(٥٢) التوم: من أسماء اللؤلؤ، والواحدة منه تومة، وقد سمي العرب بيض النعام التوم تشبيهًا له في لونه وشكله العام باللؤلؤ (ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٦٣، ٧٤).

(٥٣) بلاد العرب، ص٢٦٢. وقد علق محقق الكتاب الشيخ حمد الجاسر على هذا بأن تؤم هي ما يعرف الآن بالتويم. أما بنو حِمَّان فهم من بني سعد بن تميم.

(٥٤) أُشَيّ: بالضم ثم الفتح ثم ياء مشددة، قرية صغيرة لا تزال معروفة إلى الغرب من المجمعة في أعلى الوادي (عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، ج١، ص٧٩-٨٠).

(٥٥) الخيس: قرية صغيرة من قرى سدير تقع غرب المجمعة بميل إلى الشمال وتبعد عنها نحو خمسة وعشرين كيلاً (ابن خميس، المرجع السابق، ج١، ص٤٠١).

الفقي"(٥٦)، وقال ياقوت نقلاً عن الحفصي: "توَم بالتحريك موضع باليمامة به روضة"(٥٧)، وقد وردت الإشارة إلى توم في نصوص شعرية ترجع على القرن الأول الهجري منها قول الحطيئة:

عفا توم من أهله فجلاجله
فردت على الحي الجميع جمائله(٥٨)

وتوم هذه يبدو أنها درست وبادت بعد القرن الرابع الهجري لأسباب لا نعرفها، وفي تاريخ لا نستطيع تحديده(٥٩)، ويذكر الباحثان سعود الحزيمي ومحمد المفيز أن موقع توم كان على الضفة الجنوبية لوادي المياه في الموضع المعروف الآن بالعود(٦٠).

وبعد مدة من الزمن لا نعرف مقدارها على وجه التحديد جاء بنو عائذ بن سعيد، ونزلوا منطقة الفقي (سدير)، وأعادوا عمارة عدة مستوطنات فيها منها توم(٦١)، ولكن هذه العمارة لم

---

(٥٦) صفة جزيرة العرب، ص٢٥٥. ويفهم من كلام المتقدمين ومنه نص الهمداني هذا أن اسم الفقي لم يكن علمًا على الوادي المعروف بوادي الفقي (سدير) فقط، بل كان يشمل المنطقة المحيطة به، بما فيها وادي المياه وما يليه شمالاً حتى المجمعة وحرمة.

(٥٧) معجم البلدان، ج٢، ص٦٠.

(٥٨) عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، ج١، ص٢١١.

(٥٩) سبق أن أشرنا في الحديث عن روضة سدير إلى أن الأسباب الاقتصادية أو العوامل البشرية قد تكون هي السبب في جلاء السكان واندثار الديار.

(٦٠) التويم، ص٢٨، ٣٥.

(٦١) جاء في كتاب (التويم) لسعود الحزيمي ومحمد المفيز (ص٣٩) أن عمارة بني عائذ للتويم كانت في مطلع القرن الثامن الهجري، والذي يظهر لنا أنها كانت قبل ذلك بمدة طويلة، بدليل أن ابن فضل الله =

تكن في الموضع نفسه (العود) وإنما في موضع قريب منه على الضفة الشمالية للوادي في موضع مركز بلد التويم المعروف حاليًا الذي يعرف (بالبلاد أو الديرة)، ومثلما تغير موضع البلد قليلاً تغير اسمها قليلاً أيضًا، فأطلق عليها منذ ذلك التاريخ التويم تصغيرًا لاسمها القديم توم(٦٢). يقول ابن فضل الله العمري في حديثه عن عرب العارض باليمامة: "عائذ بنو سعيد دارهم حرمة إلى جلاجل إلى التويم، ووادي القرى، وليس المعني بالوادي المقارب للمدينة النبوية زادها الله شرفًا"(٦٣)، وابن فضل الله العمري عاش في النصف الأول من القرن الثامن الهجري.

وبنو عائذ هؤلاء ما لبثوا أن جلوا عن التويم والبلاد الأخرى المجاورة، فأصبحت منازلهم بها مقفرة داثرة. يقول ابن لعبون: "وكانت بلد التويم قبل ذلك قد استوطنها ناس من عايذ بني سعيد، بادية وحاضرة، ثم أنهم جلوا عنها ودمرت"(٦٤).

ولم يحدد ابن لعبون ولا غيره من المصادر تاريخ جلاء بني عائذ، ولا أسباب ذلك، ويبدو أنه كان خلال النصف الثاني

= العمري الذي ذكر بني عائذ بن سعيد وذكر مستوطناتهم ومنها التويم نقل معلوماته تلك عن المهمندار بدر الدين الحمداني المتوفى سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م، الذي كان يعمل رئيسًا لديوان الضيافة في القاهرة عند سلاطين المماليك، وكان يعنى بتدوين أنساب من يرد إلى الديوان من زعماء قبائل العرب وأخبار ديارهم (لمزيد من المعلومات عن بني عائذ بن سعيد انظر: فهد الدامغ، التاريخ السياسي لبلاد اليمامة منذ سقوط دولة الأخيضريين حتى قيام إمارة الدرعية، مجلة الدرعية، العدد ٣٢، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص٣٢-٣٩).

(٦٢) سعود الحزيمي ومحمد المفيز، التويم، ص٢٨.

(٦٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص١٥٠.

(٦٤) تاريخ ابن لعبون، مكتبة المعارف، الطائف، ١٤٠٨هـ، ص٩٦.

من القرن الثامن الهجري، وأنه تزامن مع بروز قوة بدوية امتد نفوذها إلى بوادي المنطقة، وفرضت سيطرتها عليها هي قبيلة بني لام بفروعها الثلاثة: آل مغيرة، والفضول، وآل كثير(٦٥)، وقد يكون رحيلهم لأسباب اقتصادية نتيجة تعاقب سنوات الجفاف والقحط وانحباس الأمطار وغور مياه الآبار(٦٦).

إعادة إعمار التويم:

إعادة إعمار بلد التويم الأخير الذي استمر إلى عصرنا هذا، يرتبط برواية رحيل بني وائل من بلدة أشيقر في إقليم الوشم، وخبرها ذكره ابن لعبون في كتابه عن الأنساب(٦٧)، ونقله عنه الآخرون، ولأهمية معرفة تفاصيل هذه الرواية للاستفادة منها في مناقشة أمر تحديد تاريخ إعادة إعمار بلدة التويم - وهو محور البحث الأساسي - فسوف نوردها اعتمادًا على ما ذكره ابن لعبون وفق ما يلي:

---

(٦٥) عن بني لام ونشاطهم في نجد انظر: حمد الجاسر، أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج٢، ص٧٤٨-٧٥١؛ أيمن بن سعد النفجان، الفضول القبيلة اللامية الطائية في نجد، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٣٩، ٨٤.

(٦٦) فهد الدامغ، التاريخ السياسي لبلاد اليمامة، ص٣٩.

(٦٧) ألف ابن لعبون كتابين أحدهما في التاريخ والآخر في الأنساب وخاصة نسب آل مدلج، وقد طبع قسم من الكتاب الذي في الأنساب بعنوان: تاريخ حمد بن محمد لعبون، بمطبعة أم القرى بمكة سنة ١٣٥٧هـ، ثم طبع مرة أخرى بمطبعة المعارف بالطائف سنة ١٤٠٨هـ، وأضيف إليه ما كتبه ابن لعبون عن نسب آل مدلج الذي نشره حمد الجاسر في مجلة العرب، أما الكتاب الذي في التاريخ فقد نشر مؤخرًا بتحقيق الدكتور عبد العزيز اللعبون (لمزيد من المعلومات عن الكتابين ونسخهما المخطوطة وطبعاتهما انظر: الدراسة التي صدّر بها الدكتور عبد العزيز اللعبون تحقيقه لكتاب تاريخ الشيخ حمد بن محمد بن لعبون، ص٢-١٧).

سكنى بني وائل في بلدة أشيقر:

تبدأ الرواية بالإشارة إلى قدوم بعض بني وائل إلى بلدة أشيقر وسكناهم بها إلى جانب سكانها الأصليين من بني وهيب (الوهبة) من تميم(٦٨)، فقد ذكر ابن لعبون في بيان نسب آل مدلج أن حسين (أبو علي)، وهو من الحسنة من بني وهب من وائل هو أول من سكن أشيقر من أجداد آل مدلج، ثم تبعه بعد ذلك عدة رجال من أقاربه من بني وائل نزلوا معه في أشيقر منهم: يعقوب أخو شميسة جد آل أبو رباع أهل حريملاء من آل حسني بن بشر، وحتايت جد آل حتايت من وهب من النويطات، وسليم جد آل عقيل من وهب أيضًا(٦٩).

وقد وفق هؤلاء الرجال من بني وائل في أعمالهم وتوسعوا في مجال الفلاحة والزراعة في أشيقر، وأصبح لهم مكانة وشهرة، وتوافد إليهم آخرون من أقاربهم(٧٠).

---

(٦٨) بنو وهيب أو الوهبة كما يطلق عليهم في مصادر تاريخ نجد، واحدهم وهبي أو وهيبي، نسبة إلى جدهم وهيب بن قاسم بن مسعود من بني حنظلة من تميم، وبلدة أشيقر هي موطنهم ومستقرهم ومنها تفرقوا في بلاد كثيرة.

(٦٩) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٣. ولم تشر الرواية إلى الجهة التي قدموا منها، وهل كانوا قبل ذلك يعيشون حياة الحضر أم أنهم كانوا بادية.

(٧٠) المصدر نفسه. وسكنى بني وائل في أشيقر فترة من الزمن ثابتة يؤيدها ورود أسماء أملاك منسوبة لهم في وثائق أوقاف بلدة أشيقر مثل (حايط مدلج) و(جوابي آل رباع) في المديبغة وغيرها (انظر: عبد الله بن بسام البسيمي، حول سكنى بني وائل لبلدة أشيقر، مجلة العرب، ج٥، ٦، ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٤٢١هـ، ص٢٨١-٢٨٢).

واشتهر منهم خاصةً حسين أبو علي الذي عرف بالكرم والسخاء، وقد أورد ابن لعبون خبر واقعة تدل على كرمه، نذكرها لما فيها من أمور يمكن الاستدلال بها على تحديد الفترة التي عاش فيها حسين أبو علي وابنه مدلج، الذي انتقل بعد ذلك إلى التويم وأعاد إعمارها، وقد جاء فيها أن غزوًا من آل مغيرة أقبلوا ومعهم أموال كثيرة استولوا عليها من قافلة تجارية كبيرة، بين الشام والعراق، فأدركهم الليل قرب بلدة أشيقر، فنزلوا خارج البلد في مكان قريب من مزرعة نخل لأبي علي، وكان الوقت في الصيف في فترة نضج ثمر النخيل، فأمر أبو علي بجذاذ ثمر جملة من النخل، وأعده لضيافة هؤلاء الذين نزلوا بالقرب من مزرعته، ثم توجه إليهم ودعاهم.

وكان أمير هذه المجموعة هو مدلج الخياري، الذي وصفه ابن لعبون بأنه "المشهور في نجد بالشجاعة وكثرة الغزوات، وهو رئيس عربان آل مغيرة"، وقد استجاب لدعوة أبي علي وتوجه هو وأتباعه وعددهم نحو مائة رجل(٧١) إلى مزرعة أبي علي فأكلوا من التمر حتى شبعوا وتزودوا بما يحتاجون من الماء، وطلب أبو علي من مدلج وعدد من كبار أتباعه أن يبيتوا عنده، وذبح لهم وصنع طعامًا خصهم به.

وقبيل طلوع الفجر رحل مدلج وأتباعه، وكان قبل ذلك قد وضع صرة فيها مال كثير تحت وسادة الفراش، فلما طووا

---

(٧١) هكذا ورد في المطبوع "نحو مائة رجل" (ص٩٤)، ومثله في نسخة مخطوطة من كتاب ابن لعبون مصوره لدى الباحث، وقد ورد في تحفة المشتاق لابن بسام، ص١٧٩ : "نحو خمس مائة رجل".

الفراش بعد صلاة الصبح وجدوا الصرة تحت الوسادة، فركب أبو علي فرسًا له، وسار مسرعًا في أثر القوم ظنًا منه أنهم قد نسوها، فلما أدركهم رفض مدلج أخذ الصرة، وذكر أنه تركها قصدًا تقديرًا له على مروءته وكرمه.

وكان لهذا الموقف أثر في نفس أبي علي، وكانت زوجته حاملاً فقال لها: إن ضيفنا البارحة من أهل المروءة والكرم فإن رزقنا الله ولدًا ذكرًا سميناه على اسمه مدلجًا، ورزقه الله ولدًا فسماه مدلجًا.

ونشأ مدلج في كنف أبيه في بلدة أشيقر، ثم صار له بعد أبيه شهرة كبيرة ومكانة، وتوافد عليه جماعات من قرابته من بني وائل، وتمكنوا في أشيقر بالمال والرجال والتوسع في الزراعة(٧٢)، وبهذا أصبح بنو وائل جزءًا من المكون السكاني في بلدة أشيقر، وعنصرًا فاعلاً في النشاط الاقتصادي بها.

جلاء بني وائل من أشيقر:

أدت هذه المكانة التي حققها بنو وائل إلى خوف الوهبة، سكان أشيقر الأصليين من أن يطمع بنو وائل في السيطرة على البلد وتولي الزعامة فيه، فتشاوروا وقرروا، تلافيًا لهذا الخطر المحتمل، إجلاء بني وائل من البلد بطريقة لا يقع فيها تعد منهم على دم ولا مال.

وكان أهل أشيقر قد اتفقوا على تقسيم الوقت بينهم، بحيث يخرج الوهبة يومًا بأنعامهم وسوانيهم إلى المراعي

---

(٧٢) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٤.

القريبة، ومعهم سلاحهم، ويبقى بنو وائل في البلد يسقون زروعهم ونخيلهم، ثم في اليوم التالي يخرج بنو وائل بأنعامهم وسوانيهم، ويبقى الوهبة في البلد يسقون زروعهم ونخيلهم، وهكذا.

استغل الوهبة هذا الأمر واتفق رأيهم على أنه إذا كان اليوم الذي يخرج فيه بنو وائل، وانتصف النهار، أخرجوا من بقي في البلد من نساء بني وائل وأولادهم، والمنقول من أموالهم، خارج السور، وأغلقوا أبواب البلد دونهم، واستعدوا بحمل أسلحتهم، وجعلوا في بروج البلد بواردية(٧٣) يحفظون البلد ببنادقهم، فإذا رجع بنو وائل آخر النهار منعوهم من الدخول، وهكذا فعلوا.

فلما رجع بنو وائل آخر النهار وجدوا أهليهم وأموالهم خارج الأسوار، ومنعهم الوهبة من الدخول وقالوا لهم هذه أموالكم ونساؤكم وأولادكم قد أخرجناها لكم، وليس لنا في شيء من ذلك مطمع، وإنما نخاف من شرور تقع بيننا وبينكم، فارتحلوا عن بلدنا ما دمنا نحن وأنتم أصحاب. ومن له زرع فليوكل عليه وكيلاً منا، ونحن نقوم بسقيه حتى يُحصَدَ، أما بيوتكم ونخيلكم فكل منكم يختار له وكيلاً يوكله على ماله، فإذا سكنتم في أي بلد فمن أراد القدوم إلى بلدنا لبيع عقاره فليقدم، ليس عليه بأس، وليس لنا طمع في

---

(٧٣) بواردية أي رجال مسلحون بالبنادق التي تعبأ بالبارود، وهي كلمة لا تزال مستخدمة في نجد، ومفردها بواردي، وهو الماهر في استخدام البندقية المتقن لإصابة الهدف.

أمـوالكم، وإنما ذلك خـوفًـا منكم أن تملكوا بلدنا وتغلبـونا عليها"، فتم الأمر بينهم على ذلك(٧٤).

هذه رواية ابن لعبون التي ساقها في خبر سكنى بني وائل لبلدة أشيقر، ثم إجلائهم منها، وقد وردت الرواية في نسخة أخرى من كتـاب ابن لعـبون، وفيـهـا بعض الاخـتـلاف في التفصيلات، لكن المضمون العام واحد، ومن التفصيلات التي وردت في تلك الرواية أن سبب اتخاذ الوهبة قرار إجلاء بني وائل كان نتيجة تحذير من رجل(٧٥) سمع ذات ليلة أصوات السواني وأدوات السقي(٧٦)، وكان فيها ضعف، فسأل عنها، فقيل: إنها وردة الرجبان(٧٧)، أي الليلة واليوم المخصص لهم

---

(٧٤) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٣-٩٥.

(٧٥) لعل هذا الرجل كان ضيفًا حل عند الوهبة، وبات عندهم عدة ليال.

(٧٦) كان الذين يعملون في الفلاحة والزراعة قديمًا يستخدمون السواني في استخراج الماء من الآبار، وفي أوقات الحاجة لمزيد من المياه، كانوا يبدأون العمل في آخر الليل قبل الفجر بساعتين أو ثلاث، ويسمى هذا العمل (الغبشة)، وكان يصدر عن هذا العمل والأدوات المستخدمة فيه وخاصة (الدّراجة) أصوات تزداد كلما كان العمل قويًا، وتسري في ليل القرية الهادئ.

(٧٧) الرجبان: ذكر جبر بن سيار وهو من أقدم من كتب في أنساب أهل نجد أنهم من بني حنظلة من تميم (نبذة في أنساب أهل نجد، تحقيق راشد بن محمد بن عساكر، مكتبة ذات السلاسل، الكويت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١١٨-١١٩)، أي أنهم أبناء عم للوهبة، وهناك من يذهب إلى أنهم من الدواسر (انظر: المصدر السابق، ص١١٩، تعليق المحقق، هامش٣)، ولو صح أنهم من الدواسر فهذا فيه دليل آخر على تأخر تاريخ حادثة إجلاء بني وائل من أشيقر، لأن خروج الدواسر من واديهم وانسياحهم في وسط نجد وشماله، واستيطانهم في بعض بلدانه كان في القرن الثامن الهجري وما بعده على الأرجح.

للسقي، فذمها وأبدى ما يدل على ضعفها، وفي الليلة التالية سأل أيضًا لمن هذه؟، فقيل: للوهبة، وكانت مشابهة للأولى، فذمها أيضًا وقلّل من شأنها، ثم سمع بسقي الليلة الثالثة، فإذا له زجل وأصوات مرتفعة لأدوات السقي ودواب السواني والعمال الذين يقومون عليها، فقال: لمن هذه الوردة؟، فقيل: لبني وائل، فرفع صوته مخاطبًا الوهبة وقال: يا بني وهيب أدركوا بلدكم فإنها قد عرفت أهلها، ما بقي إلا أن يخرجوكم منها، أو تكونوا رعية تحت أيديهم. فوقع ذلك التحذير موقعه لدى الوهبة، وأجمعوا أمرهم على إجلاء بني وائل(٧٨).

ومن التفصيلات الطريفة في هذه الرواية أيضًا، ما ورد عن أحد بني وائل ويدعى (حتايت)، فبعد أن قبل بنو وائل بالأمر الواقع، على ضيق وكره، أخذ كل من له زرع ونخل وأموال ثابتة منهم يوكل عليها وكيلاً من الوهبة يطمئن إليه، وتربطه به علاقة، ولم يبق إلا حتايت لم يختر وكيلاً، فقال له الوهبة: وكّل، فقال: وكيله الشيطان، تجلوننا عن نخيلنا وحروثنا وتقولون وكّلوا؟. فبقيت مقولته هذه مثلاً سائرًا يكنى به عن الوكيل السيئ، فيقال: وكيل حتايت(٧٩).

وصول بني وائل إلى التويم وإعادة إعمارها:

رحل بنو وائل من أمام أسوار أشيقر وفي مقدمتهم مدلج بن حسين وبنوه، وحمد بن يعقوب جد آل أبو رباع أهل حريملاء، وسليم جد آل عقيل، وجد آل هويمل، وتوجهوا نحو

---

(٧٨) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٥.

(٧٩) المصدر نفسه.

إقليم سدير المجاور، ونزلوا في موضع بلد التويم، وكان مدلج وبنوه أول من وصل إليها، ثم تبعه أقاربه المشار إليهم وغيرهم من الوهبيين(٨٠)، والمسافة بين أشيقر والتويم ليست بعيدة فهي تبلغ نحو ستين كيلاً، ويبدو أن بني وائل بحكم قربهم من إقليم سدير كانوا على علم بخلو التويم من سكانها لذلك توجهوا إليها، يقول ابن لعبون: "وكان بلد التويم قبل ذلك قد استوطنها ناس من عايذ بني سعيد بادية وحاضرة، ثم جلوا عنها ودمرت، وعمرها مدلج وبنوه"(٨١).

ولعل ما حدث لبني وائل في أشيقر هو ما جعلهم يفضلون اختيار موقع بلد دارس ويعيدون عمارته وغرسه، ويكونون هم أهله المؤسسين له، وأصحاب الشأن فيه، بدل النزول في بلدة عامرة إلى جوار أهلها.

ومهما يكن الأمر فقصة رحيل بني وائل من أشيقر من الحوادث القليلة التي تتجلى فيها الحكمة، وحسن تقدير الأمور من الطرفين، في زمن كان العنف يسود التعامل فيه

---

(٨٠) المراد بالوهبيين هنا هم بنو وهب من الحسنة من بني وائل، أي أن اقارب مدلج الآخرين من بني وهب تبعوه وتوجهوا إلى التويم، وليس المراد بعض الوهبة من تميم أهل أشيقر، كما فسرها بعض الباحثين (انظر: سعود الحزيمي ومحمد المفيز، التويم، ص٥٩، ١١٠). لأن النص ومجريات الأمور ومنطقها لا يحتمل هذا، ومن الناحية اللغوية فالنسبة إلى (وهيب) جد الوهبة هي وهيبي والجمع وهيبيون، أو وهبة كما وردت في المصادر النجدية، أما النسبة إلى (وهب) جد مدلج وعشيرته فهي وهبي والجمع وهبيون، كما جاء عند ابن لعبون. وهذا لا ينفي أن بعض الوهبة قدموا إلى التويم في فترات لاحقة واستقروا فيها إلى جانب بني وائل.

(٨١) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٦.

بين القوى المختلفة، فبنو وائل اقتنعوا بالرحيل ولم يلجأوا إلى القوة، أو يستعينوا بالقوى المجاورة البدوية أو الحضرية للانتقام من الوهبة ومعاودة مهاجمتهم، ويبدو أن من أسباب ذلك نظرهم للأمر بعين العقل وإدراكهم أن الوهبة هم أهل البلد الأصليون الأقدم وجودًا والأكثر عددًا، كما أن تصرف الوهبة المتمثل في حفظ أموال بني وائل وعدم التعرض لها، وحسن التعامل مع من طلبوا منهم الخروج من البلد من بني وائل من كبار السن والأطفال والنساء، ثم مخاطبتهم لبني وائل من وراء الأسوار بمنطق العقل والاحترام والإقناع، وما أبدوه من استعداد لرعاية زروعهم ونخيلهم وسقيها حتى تؤتي ثمارها، كل ذلك كان سببًا لغلبة منطق العقل والحكمة، وتجنب المواجهة ودرء الفتنة(٨٢).

تاريخ إعادة إعمار التويم ونقد رواية ابن لعبون:

أول من حدد تاريخًا لإعادة إعمار التويم من قِبَل بني وائل هو المؤرخ ابن لعبون فقد قال بعد أن سرد خبر جلاء بني وائل من أشيقر ووصولهم إلى التويم: "وعمرها مدلج وبنوه سنة ٧٠٠هـ تقريبًا"(٨٣).

وواضح من سياق الخبر أن التاريخ المشار إليه هو تقدير اجتهادي من ابن لعبون، وقد يكون من الأخبار والروايات الشفهية المتداولة في عصره فدونه كما سمعه، وأيًّا كان الأمر

---

(٨٢) انظر: عبد الله التركي، منطقة سدير في عهد الدولة السعودية الأولى، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٣٧-٣٨؛ وسعود الخزيمي ومحمد المفيز، التويم، ص٣١-٣٢.

(٨٣) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٦.

فابن لعبون عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، أي أن التاريخ الذي قدره يسبق عصره بنحو خمسمئة سنة.

أما ابن عيسى فقد جعل بناء بلدة التويم عنوانًا لأول خبر افتتح به كتابه وقال: "في سنة ٧٠٠هـ تقريبًا عمرت بلدة التويم في سدير عمرها مدلج بن حسين الوائلي وبنوه وعشيرته"(٨٤)، وواضح من سياق الخبر بعد ذلك أنه نقل رواية ابن لعبون عن جلاء بني وائل من أشيقر بنصها نقلاً حرفيًا، ولم يشر إلى المصدر، وكل ما فعله أنه أورد التاريخ في أول الرواية، في حين ذكره ابن لعبون في آخرها.

وذكر ابن بسام خبر إعادة إعمار التويم وتاريخه، وصرح بأنه اطلع عليه بخط ابن لعبون نفسه، وقال: "ذكر حمد بن محمد بن لعبون ساكن بلد التويم فيما وجدته بخط يده في ذكر نسبهم، وسبب إخراج الوهبة لهم من بلد أشيقر، وسكناهم بلد التويم"، ثم ذكر نص ما ذكره ابن لعبون عن إجلاء بني وائل من أشيقر، ووصولهم إلى التويم وجاء في آخره قوله: "وعمرها مدلج وبنوه وعشيرته من عنزة، وذلك سنة ٧٠٠هـ تقريبًا"(٨٥).

وهذا التاريخ الذي ذكره ابن لعبون أولاً، ثم أخذه عنه كل من ابن عيسى، وابن بسام، شاع وانتشر بعد ذلك عند أغلب من كتبوا عن التويم، أو أشاروا إلى تاريخ إعمارها، أخذوه

---

(٨٤) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص٢٨.

(٨٥) تحفة المشتاق، ص٦٥.

قضية مسلمة دون نقاش، وتوقف فيه بعض الباحثين وشككوا في صحته، ومنهم عويضة الجهني، وهو من أول من أشار إلى هذا الأمر، ولاحظ أنه يتعارض مع سلاسل الأنساب التي ذكرها ابن لعبون نفسه، واستخدم قاعدة تقدير التواريخ حسب تعاقب الأجيال في نقد ما ذكره ابن لعبون(٨٦)، وممن توقف في قبوله أيضًا كل من سعود الحزيمي ومحمد المفيز، وقد ناقشاه مناقشة علمية جيدة(٨٧)، كما أن كاتب هذا البحث نفسه سبق أن ألمح في بحوث سابقة إلى أن تاريخ إعادة إعمار التويم وحرمة الذي حدده ابن لعبون يحتاج إلى إعادة نظر ودراسة(٨٨).

إن تحديد تاريخ إعادة إعمار التويم من قبل مدلج ومن صاحبه من بني وائل بسنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م ينبغي التوقف في قبوله، وإعادة النظر فيه وتصحيحه، لأنه يتعارض مع بعض الوقائع المذكورة في ثنايا رواية ابن لعبون نفسها، إضافة إلى أن قرائن وأدلة أخرى كثيرة تؤيد عدم صحته، ومن ذلك ما يلي:

---

(86) Al- Juhany, U.M.,Najd before the Salafi Reform Movement: Social, Politcal and Religious conditions during the three Centuries preceding the rise of the Saudi state. Ithaca Press. London 2002, PP. 77-81.

(٨٧) التويم، ص٣٣ -٣٤.

(٨٨) منطقة الرياض، دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية، إمارة منطقة الرياض، ١٤١٩هـ، ج٢، ص٣٥١، هامش (٣)؛ التاريخ السياسي لبلاد اليمامة، ص٣٨، هامش (٤).

١ - ورد في الرواية التي ساقها ابن لعبون خبر مدلج الخياري رئيس عربان آل مغيرة ونزوله ضيفًا عند حسين الوائلي في أشيقر، وهذا يؤكد أن حسينًا معاصر لمدلج الخياري، ومدلج يرجح أنه مدلج بن علي بن نعير الخياري الذي قتل سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م(٨٩)، أما لاحم بن مدلج الذي وصفه ابن بسام بأنه رئيس آل مغيرة، فيبدو أنه تولى زعامة آل مغيرة بعد والده، وقد قتل هو الآخر في معركة مع قبيلة عنزة قرب مورد مبايض(٩٠)، في سنة ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م(٩١).

وما يهمنا هنا أن مدلج الخياري معاصر لحسين الوائلي، وابنه لاحم بن مدلج معاصر لمدلج بن حسين ومن جيله، وبما أن لاحم قتل سنة ٨٥٦هـ فهذا يعني أن مدلج بن حسين عاش هو الآخر في القرن التاسع الهجري(٩٢)، وبناء عليه فالتاريخ الذي قدره ابن لعبون لوصول مدلج بن حسين إلى التويم وإعادة إعمارها سنة ٧٠٠هـ تاريخ متقدم جدًا، ويسبق عصر مدلج بنحو قرن ونصف.

٢ - ورد في رواية ابن لعبون نفسها أن الوهبة عندما أغلقوا أبواب البلد دون بني وائل أخذوا سلاحهم وجعلوا في

---

(٨٩) فرحان أحمد سعيد، آل ربيعة الطائيون، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٨٩.

(٩٠) مبايض: بضم الميم وفتح الباء، مورد مياه قرب بلد تمير في منطقة سدير (ابن خميس، معجم اليمامة، ج٢، ص٣٢٦).

(٩١) تحفة المشتاق، ص٣٩.

(٩٢) سعود الحزيمي ومحمد المفيز، التويم، ص٣٤.

البروج بواردية يحفظون البلد ببنادقهم(٩٣)، والرواية صريحة في ذكر سلاح البنادق والبواردية، وهم الرجال الماهرون في استخدام البنادق التي تعبأ بالبارود، وهذا يتعارض تمامًا مع التاريخ الذي حدده ابن لعبون وهو سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م ، فالبنادق التي يستخدم فيها البارود لم تكن قد اخترعت في ذلك التاريخ(٩٤)، والسلاح الناري ممثلاً في البنادق لم يدخل الجزيرة العربية إلا في أواخر القرن التاسع ومطلع القرن العاشر الهجري (الخامس عشر الميلادي)(٩٥)، أي بعد نحو قرنين من التاريخ الذي قدره ابن لعبون لإعادة إعمار التويم .

٣ - ذكر ابن لعبون في حديثه عن إعادة إعمار التويم والأحداث والأشخاص الذين لهم صلة بهذا الأمر، أن سليمًا جد آل عقيل كان مع الذين نزلوا أشيقر من بني وائل مع حسين (أبو علي)، ثم ذكره مع الذين رحلوا من

---

(٩٣) تاريخ ابن لعبون، ص٩٤.

(٩٤) مرت صناعة البندقية بعدة مراحل، بدأت في سنة ١٤٤٦هـ (٨٥٠هـ) ببندقية بدائية ظهرت في أوروبا، ثم في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) ظهر ما عرف ببندقية الفتيلة (انظر: سعد بن عبد الله الجنيدل، معجم التراث (السلاح)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٧هـ، ص٤٦-٤٧، ١٦٧-١٦٨) .

(٩٥) عبد الرحمن السويداء، الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد، ج٢، ص١٧٩-١٨٠؛ لطف الله قاري، الثقافة العربية الإسلامية في مواجهة الثقافة الأوروبية، أبحاث ندوة الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوروبي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص٣٠٠ - ٣٠٢ .

أشيقر إلى التويم وشاركوا في إعادة إعمارها مع مدلج بن حسين، وبعد ذلك قال: "ثم أن سليمًا جد آل عقيل قدم على ابن معمّر من بلد التويم فنزل عنده في بلد العيينة فأكرمه، ونشأ ابنه عقيل بن سليم وصار أشهر من أبيه وله ذرية كثيرة "(٩٦).

ومن المعلوم أن العيينة قد تأسست على يد حسن بن طوق التميمي الجد الأعلى لآل معمر سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، وهذا أمر متفق عليه في مصادر تاريخ نجد(٩٧)، ولو فرضنا أن سليمًا المشار إليه قد توجه إلى العيينة بعد تأسيسها بفترة قصيرة وفي عهد مؤسسها، فمعنى هذا أنه توجه إليها بعد سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م ، فكيف يستقيم - والحال هذه - أن يكون قد شارك في أحداث ترجع إلى سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠م. إذ لا يمكن أن يعيش هذه الفترة الطويلة، وهذا مؤشر آخر وقرينة أخرى على تناقض مضمون ما ذكره ابن لعبون نفسه من حوادث

---

(٩٦) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٦ . وآل عقيل أسرة معروفة في حرمة والزبير من بني وائل من عنزة (حمد الجاسر، أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج٢، ص٦٠٨). وكان جدهم الأعلى قد أقام فترة في العيينة، ثم رحل منها، ومنهم الشيخ أحمد بن عبدالله بن عقيل، المتوفى سنة ١٢٣٤هـ (عبدالله البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج١، ص٤٨٥-٤٨٧).

(٩٧) الفاخري، الأخبار النجدية، ص٦٠؛ ابن بشر؛ عنوان المجد، ج٢، ص٢٩٦؛ ابن لعبون، مجموع مختصر لحمد بن لعبون، نسخة مخطوطة لدى الباحث صورة منها، ص٤١؛ ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص٣٥؛ وانظر أيضًا: عبدالمحسن بن محمد بن معمر، إمارة العيينة وتاريخ آل معمر، ص٢٦٢-٢٦٣.

وأخبار مع التاريخ التقديري الذي حدده لإعادة إعمار التويم؛ مما يؤكد الشك في صحة ذلك التاريخ. وهذا الخبر عن توجه سليم إلى العيينة يعطي دلالة على أن إعادة إعمار التويم على يد مدلج كان في تاريخ مقارب لتاريخ تأسيس العيينة.

٤ - يلاحظ أن ابن لعبون بعد أن تحدث عن عمارة التويم، ذكر عمارة بلدة حرمة، وحدده بسنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م تقريبًا، وقد ذكر ابن لعبون نفسه في نسخة أخرى من كتابه رواية نسبها إلى آل شبانة تفيد أن عمارة حرمة كانت في آخر القرن التاسع الهجري تقريبًا، نحو السبعين وثمان مائة(٩٨)، أي بعد مائة سنة من التحديد السابق، وتاريخ إعادة إعمار حرمة مرتبط بتاريخ إعادة إعمار التويم فهو وقع بعده، كما سوف نوضح فيما بعد في الحديث عن بلدة حرمة، والذي يهمنا هنا أن إيراده لهذه الرواية يدل على أن التواريخ التي ذكرها عن إعادة إعمار التويم وحرمة، وكذلك المجمعة، تواريخ تقديرية، وأنه هو نفسه لم يكن على يقين منها، ولعل ذكره لرواية آل شبانة هو بمثابة استدراك منه(٩٩)، فهذه الرواية فيها فارق زمني يبلغ مئة سنة عن تقديرات ابن لعبون، وهي بلا شك أقرب إلى الصواب، وإن كانت غير دقيقة هي الأخرى.

---

(٩٨) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٩، ١٠٤.

(٩٩) سعود الحزيمي ومحمد المفيز، التويم، ص٣٢، ٣٤.

٥- ذكر ابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م التويم ضمن ديار عائذ بني سعيد، ووصف المنطقة بأنها بلاد خير وذات زروع وماشية وقرى عامرة(١٠٠)، وما ذكره العمري يدل على أن التويم كانت في النصف الأول من القرن الثامن الهجري بلدة عامرة يقطنها بنو عائذ، وهذا يتعارض مع التاريخ الذي قدره ابن لعبون لقدوم بني وائل إلى التويم وإعادة إعمارها، لأن هذا تم بعد جلاء بني عائذ عنها وخرابها، والغريب في الأمر أن المعلومات التي أوردها العمري عن ديار بني عائذ بن سعيد لم تكن خافية على ابن لعبون فقد اطلع عليها ونقلها في كتابه(١٠١)، ثم بين بعد ذلك أن بني عائذ جلوا عن تلك الديار، فآلت إلى الخراب والدمار، حتى جاء مدلج وبنوه وعشيرته فعمروها(١٠٢). ويبدو أن ابن لعبون حين قدر تاريخ إعادة إعمار التويم بسنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م لم يدقق النظر ويعمل الفكر في تسلسل الأحداث، وغابت عنه دلالات ما ورد في الرواية نفسها من أحداث، وما أورده قبل ذلك في كتابه من معلومات لها علاقة بهذا الأمر.

٦ - من الثابت أن تاريخ تأسيس بلدة حريملاء على يد آل حمد من آل أبو رباع من بني وائل كان في سنة ١٠٤٥هـ/

---

(١٠٠) مسالك الأبصار، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، ص١٥٠.

(١٠١) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٣٧ .

(١٠٢) المصدر السابق، ص٩٦.

١٦٣٥م، وهو تاريخ متواتر في المصادر(١٠٣)، وآل حمد ينتمون إلى حمد بن يعقوب الذي شارك مع مدلج في إعادة إعمار التويم، وكان لآل حمد حلة خاصة بهم في التويم، حتى بدا لهم في التاريخ المشار إليه الرحيل والتفرد في بلد مستقل، فكان أن رحلوا إلى حريملاء وعمروها، بعد أن اشتروا موقعها من ابن معمر أمير العيينة(١٠٤)، وكان من بين الذين انتقلوا من التويم إلى حريملاء وشاركوا في عمارتها سويد وأخوه حسن ابنا راشد بن محمد من آل حمد(١٠٥)، وراشد هو الجد الأعلى لأسرة الراشد المعروفة في حريملاء، وسلسلة نسبه حتى جده الأعلى حمد، الذي عاصر إعمار التويم وشارك فيه، مذكورة في شجرة أسرة الراشد، ويبلغ عدد الأجيال بين حمد وكل من سويد وحسن ابني راشد، حسب ما ورد في تلك الشجرة، ستة أجيال(١٠٦).

---

(١٠٣) تاريخ ابن لعبون، تحقيق عبدالعزيز بن لعبون، ص٢١٩؛ ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٢٠-٣٢١؛ الفاخري، الأخبار النجدية، ص٦٨.

(١٠٤) أمير العيينة في ذلك التاريخ هو حمد بن عبدالله بن محمد، وقد تولى الإمارة سنة ١٠٢٤هـ، واستمر حتى وفاته سنة ١٠٥٦هـ (ابن بشر، عنوان المجد، ج٢ ص٣٢٢ ؛ ابن ربيعة، تاريخ ابن ربيعة، ص٦٢).

(١٠٥) ابن لعبون، تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٦؛ ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٢١؛ ابن بسام، تحفة المشتاق، ص١١٥. وجاء عند الفاخري (الأخبار النجدية، ص٦٨) وابن عيسى (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص٥٣) أن الذي انتقل من التويم إلى حريملاء هو راشد بن محمد.

(١٠٦) انظر: موقع أسرة الراشد على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، شجرة أسرة الراشد.

وبتطبيق قاعدة حساب الزمن بناء على عدد تعاقب الأجيال التي سبق أن أشرنا إليها، نجد أن المدى الزمني بين العصر الذي عاش فيه حمد الذي شارك في إعمار التويم، وعصر حفيديه سويد وحسن، اللذين شاركا في إعمار حريملاء، يبلغ نحو مئتي سنة، وبناء عليه فإن تاريخ إعادة إعمار التويم يقدر أنه يسبق إعمار حريملاء بقرنين، أي أنه تم في منتصف القرن التاسع الهجري تقريبًا.

٧ - يضاف إلى ما سبق أن استقراء سلاسل نسب بعض أحفاد مدلج بن حسين الذين حفظت المصادر سلسلة أنسابهم، وتطبيق قاعدة حساب الزمن بناء على عدد تعاقب الأجيال عليهم، تؤدي إلى النتيجة نفسها التي أدت إليها الأدلة والقرائن السابقة، فعلى سبيل المثال ذكرت المصادر التاريخية أن أمير بلد التويم الفارس المشهور محمد بن زامل بن إدريس بن حسين بن مدلج قتل سنة ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م في وقعة القاع بين أهل التويم وأهل جلاجل(١٠٧)، وبحساب المدى الزمني بين عصر محمد بن زامل وجده الأعلى مدلج بن حسين، حسب عدد الأجيال بينهما، نجد أنه يفصل بينهما أربعة أجيال، وهي تعادل نحو ١٣٤ سنة، وهذا يعني أن مدلجًا يقدر أنه عاش في أواخر القرن التاسع الهجري ومطلع القرن العاشر، وهذا بعيد عن التاريخ الذي قدره ابن لعبون.

---

(١٠٧) ابن لعبون، تاريخ ابن لعبون، تحقيق عبد العزيز بن لعبون، ص٢٤٩؛ الفاخري، الأخبار النجدية، ص٧٦؛ ابن بسام، تحفة المشتاق، ص١٣٣.

وخلاصة القول إن القرائن والأدلة السابقة كلها(١٠٨) تشير إلى أن تحديد تاريخ إعادة إعمار التويم على يد مدلج بن حسين الوائلي وعشيرته بسنة ٧٠٠هـ الذي ذكره ابن لعبون أولاً، ثم انتشر في أغلب المؤلفات والمواقع الإلكترونية، غير صحيح وينبغي إعادة النظر فيه، وبناء على مجمل القرائن والأدلة المشار إليها فإننا نؤيد ما توصل إليه الباحثان سعود الحزيمي ومحمد المفيز من أن إعادة إعمار التويم كانت في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري(١٠٩)، ولعلها تمت في حدود سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م تقريبًا، أي بعد أكثر من قرن ونصف من التاريخ المتداول حاليًا، والشائع في أغلب الكتابات والمواقع الإلكترونية.

ثالثًا: حرمة

حرمة، بفتح الحاء وإسكان الراء وفتح الميم، إحدى بلدات إقليم سدير، وتقع بجوار مدينة المجمعة مباشرة، عند ملتقى وادي الكلب بوادي المشقر، وتبعد عن مدينة الرياض نحو ١٩٠ كيلاً إلى الشمال الغربي، على دائرة العرض: ٢٥ درجة و٥٦ دقيقة شمالاً، وخط الطول: ٤٥ درجة و٢١ دقيقة شرقًا(١١٠)،

---

(١٠٨) لابد من الإشارة هنا إلى أن الأمر لا يقتصر على هذه الأدلة والقرائن فقط، بل إن الأدلة والقرائن التي سوف ترد في مناقشة ونقد تحديد ابن لعبون لتاريخ إعادة إعمار حرمة تعد هي الأخرى قرائن وأدلة لنقد تحديد تاريخ إعادة إعمار التويم لترابط الأمرين، ولم نذكرها هنا تجنبًا للتكرار، والعكس صحيح أيضًا.

(١٠٩) التويم، ص٣٣.

(١١٠) هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ودارة الملك عبدالعزيز، موسوعة أسماء الأماكن، ج٢، ص٤٧٥.

واسمها مشتق من الاسم القديم للوادي الذي تقع عليه، وهو وادي الحريم.

ورد ذكر حرمة في المصادر التاريخية والمعاجم الجغرافية القديمة باسم الحريم، وحرمة؛ فالأصفهاني، وهو من علماء القرن الثالث الهجري، ذكرها باسم حرمة، وعدها ضمن مياه الرباب(١١١)، وعندما تحدث عن منازل بني العنبر من تميم في منطقة الفقي (سدير) قال: "ثم بطن الحريم وهو واد لبلعنبر بالفقء"(١١٢)، وقال أيضًا عن بني عوف بن مالك من بني العنبر: "يسكنون الفقء، وينزلون الحريم"(١١٣).

وقال نصر الفزاري الإسكندري (ت ٥٦١هـ): "حرم، بفتح الحاء وكسر الراء، المهملتين، واد بأقصى عارض اليمامة، ذو نخل وزرع، وقد تفتح الراء"(١١٤)، أما الحازمي (ت ٥٨٤هـ) فذكر أنه واد في ناحية اليمامة فيه نخيل وزروع(١١٥)، وقال ياقوت: "الحريم، قرية لبني العنبر باليمامة"(١١٦).

ويتضح من النصوص السابقة أن حرمة كانت مستوطنة زراعية في القرون الهجرية الأولى، وأن سكانها كانوا من بني

---

(١١١) بلاد العرب، ص٢٥٦. والرباب هم بنو عبد مناة بن أد بن طابخة.

(١١٢) المصدر السابق، ص٢٦١. والفقء وردت بالهمزة، وبالتخفيف: الفقى، وبإبدال الهمزة ياء: الفقي .

(١١٣) المصدر السابق، ص٢٥١ .

(١١٤) الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار، تحقيق حمد الجاسر، ج١، ص٣٥٥ .

(١١٥) ما اتفق لفظه واختلف مسماه من الأماكن، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة للنشر، الرياض، ١٤١٥هـ، ج١، ص٣٣٥ .

(١١٦) معجم البلدان، ج٢، ص٢٥١-٢٥٢ .

العنبر، لكن بني العنبر هؤلاء رحلوا عنها لأسباب لا نعرفها، وحل محلهم بنو عائذ بن سعيد(١١٧)، ثم ما لبث هؤلاء أن جلوا عنها أيضًا، وبقيت أطلالاً خالية من السكان(١١٨)، ولعل هذا حدث في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري.

إعادة إعمار حرمة:

يرتبط إعادة إعمار حرمة ارتباطًا وثيقًا بإعمار التويم، فهو حدث بعده وعلى يد أحد أحفاد مؤسس التويم. ذلك أن مدلج بن حسين بعد أن استقر في التويم هو وعشيرته من بني وائل، أصبح رئيسًا فيها، وبعد وفاته تولى إمارة التويم بعده ابنه حسين، وواصل مسيرة والده وتوسع هو وعشيرته ومن نزل عندهم في عمارة البلد وزراعة أراضيه، وحقق مكانة وشهرة، وكان له أربعة أولاد هم: إبراهيم وهو الأكبر، وإدريس، ومانع، وحسن، وقد بدا لإبراهيم الانفراد بملك مستقل فارتاد موضع حرمة(١١٩)، وكان فيه بقية آثار منازل دارسة، وآبار معطلة، بعد أن جلا عنها بنو عائذ بن سعيد، وطلب من أبيه السماح له بالانتقال إليها، فنزلها وشرع في إعادة إعمارها وزراعة أراضيها، وتبعه كثير من أقاربه وأتباعه، فتوسع عمرانها وأصبحت بلدة مستقلة، تفرد برئاستها إبراهيم بن حسين، ثم أبناؤه وأحفاده(١٢٠).

---

(١١٧) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص١٥٠ .

(١١٨) ابن لعبون، تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٩ .

(١١٩) موضع حرمة يبعد عن التويم نحو أربعين كيلاً إلى الشمال.

(١٢٠) المصدر السابق، ص٩٧-٩٩ .

ويذكر ابن لعبون أن أبناء أمير التويم حسين بن مدلج حين توفي والدهم بعثوا إلى أخيهم إبراهيم وطلبوا منه القدوم إلى التويم؛ لتولي إمارتها خلفًا لأبيه، باعتباره أكبرهم سنًا، لكن إبراهيم اعتذر وقال: "أنتم فيكم الكفاية، وقد استقر بي القرار في منزلي -يعني حرمة- والحال واحدة"(١٢١).

هكذا عادت بلدة حرمة للظهور مرة أخرى بعد أن أعاد إعمارها إبراهيم بن حسين بن مدلج وأتباعه، وهو العمران الذي استمر إلى عصرنا الحاضر.

تاريخ إعادة إعمار حرمة ونقد رواية ابن لعبون:

الشأن في تحديد تاريخ إعادة إعمار حرمة كما هو الشأن في تحديد تاريخ إعادة إعمار التويم، فهو تاريخ تقديري أول من ذكره المؤرخ ابن لعبون، حيث قال بعد أن ذكر خبر نزول إبراهيم بن حسين بها: "وكان نزول إبراهيم بن حسين بن مدلج المذكور بلد حرمة وعمارته لها تقريبًا سنة ٧٧٠هـ"(١٢٢). وذكره ابن عيسى بعد ذلك تحت عنوان: "عمران بلدة حرمة في سدير"(١٢٣)، ولم يشر إلى المصدر، وواضح من سياق الخبر أنه نقله عن ابن لعبون. وذكره ابن بسام أيضًا، وقال إنه وجده بخط ابن لعبون(١٢٤)، وقال في موضع آخر إنه نقله من تاريخ حمد بن لعبون المعروف في بلد التويم، وبقلمه(١٢٥).

---

(١٢١) المصدر السابق، ص٩٧-٩٩ .

(١٢٢) المصدر نفسه، ص٩٩ .

(١٢٣) بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص٣١ .

(١٢٤) تحفة المشتاق، ص٦٥ .

(١٢٥) المصدر السابق، ص١٨٠ .

وقد شاع هذا التاريخ بعد ذلك وانتشر عند من كتبوا عن حرمة أو عن الأسر والأعلام الذين ينتمون إليها، وفي كثير من المواقع والموسوعات الإلكترونية على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، وأصبح من الأمور المسلمة عند كثيرين.

وهذا التاريخ ينبغي التوقف في قبوله وإعادة النظر فيه، فهو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتاريخ إعادة إعمار التويم، وما سبق أن سقناه من أدلة وقرائن يؤكد عدم صحة تحديد تاريخ إعادة إعمار التويم بسنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، ينطبق أيضًا على تقدير تاريخ إعادة إعمار حرمة بسنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، ولا حاجة لإعادتها هنا(١٢٦)، ولكننا نضيف إلى ذلك ما يلي:

١ - ذكر ابن لعبون نفسه في نسخة أخرى من كتابه رواية جاء فيها: "وقد ذكروا(١٢٧) لنا آل شبانة حمد بن عثمان وأخوه محمد(١٢٨) أنهم حرروا عمن قبلهم نقلاً نزول إبراهيم بن حسين حرمة في آخر القرن التاسع تقريبًا، نحو السبعين وثمان مائة"(١٢٩). وهذه الرواية فيها فارق

---

(١٢٦) ويلاحظ أيضًا أن ما ذُكر عن حرمة هنا ينطبق على التويم .

(١٢٧) هكذا وردت، والصواب: ذكر .

(١٢٨) حمد بن عثمان بن عبد الله بن شبانة: عالم فقيه، ولد في المجمعة في بيت علم وفضل، تلقى العلم أولاً على يد والده عثمان بن عبد الله، الذي يعد من أبرز علماء نجد في القرن الثاني عشر الهجري، وعلى غيره من علماء المجمعة، ثم رحل لطلب المزيد من العلم حتى حصل جانبًا كبيرًا، عينه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود قاضيًا على بلدان سدير، توفي سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م. (ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢١٠؛ عبد الله بن خميس، تاريخ اليمامة، ج٥، ص٦١). أما أخوه محمد بن عثمان فلم نجد معلومات عنه .

(١٢٩) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص١٠٤، ٩٩.

كبير في التقدير عن تقدير ابن لعبون السابق يبلغ مئة سنة، وكما سبق أن أشرنا من قبل فإيراده لهذه الرواية وعدم تعليقه عليها، يدل على أن التاريخ الذي ذكره سابقًا تاريخ تقديري محض، وأنه لا يصر عليه أو يؤكده، بل لعل ذكره رواية آل شبانة يعد استدراكًا منه على تقديره السابق، ونوعًا من التشكيك فيه، وإن كان لم يصرح بذلك.

٢ - ورد في ثنايا كتاب ابن لعبون نص وثيقة وقف مهمة لمانع بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسين، وهو حفيد مؤسس حرمة المباشر، والوثيقة مؤرخة، وتاريخها يعد من أوثق التواريخ، ومن أقربها للموضوع الذي نناقشه، وهو تاريخ إعادة إعمار حرمة، ولأهميتها سوف نورد بعض ما ذكره ابن لعبون عنها، حيث يقول: "أما إسماعيل ابن الجد إبراهيم فأولاده لصلبه مانع وحمد وعثمان(١٣٠)، فأما مانع فاتسعت له الدنيا، وملك في حرمة عقارات كثيرة، وقفنا على أسمائها في وثيقة له موقف جميع عقاراته، وذلك قبل أن يولد ابنه عبد الله، ووقت التوقيف سنة ثمانين بعد الألف، والوثيقة عندنا بخط القاضي أحمد بن محمد التويجري(١٣١)، وذكر أنه نقل من خط

---

(١٣٠) نسي هنا ذكر اسم الابن الرابع وهو عبد الله، وقد ورد اسمه بعد ذلك في الوثيقة نفسها عند ذكر مصارف الوقف، كما أن ابن لعبون ذكره قبل ذلك في معرض حديثه عن أبناء إبراهيم بن حسين، وذكر تفصيلات كثيرة عن أبنائه وأحفاده .

(١٣١) أحمد بن محمد بن عبد الله التويجري: ولد في المجمعة ونشأ فيها، ورحل إلى الأحساء لطلب العلم، تولى القضاء في المجمعة، وتوفي سنة ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م (ابن بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج١، ص٥٣٣-٥٣٤).

عبدالقادر العديلي(١٣٢)، وذكر عبد القادر أنه نقله من خط العالم القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن سيف(١٣٣)، وهو عالم مشهور في زمنه.

وصورة ترجمة الوثيقة: السبب الداعي لتحريره هو أن المكلف العاقل الرشيد مانع بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسين بن مدلج، قد وقف وحبس عقاراته الكائنة في القرية المسماة حرمة، وهن: حائطه المعروف بالعميري، وحائطه المسمى بالحمّادية(١٣٤)، والمسمى فيد(١٣٥) سليم، وأرضه المعروفة بطالعة(١٣٦) المويسية، وداره المعروفة بعقدة(١٣٧)

---

(١٣٢) عبد القادر بن عبد الله العديلي: أحد علماء المجمعة في القرن الثاني عشر الهجري، تلقى العلم على علماء بلده، ومنهم العالم المشهور حمد بن شبانة بن محمد بن شبانة، وتتلمذ عليه عدد من العلماء، منهم أحمد بن محمد التويجري، ويرجح أنه تولى القضاء في المجمعة (ابن بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج٢، ص٧٩، ج١، ص٥٣٣) .

(١٣٣) محمد بن عبد الله بن محمد بن سيف: لم نجد له ترجمة، وواضح من كلام ابن لعبون أنه عالم فقيه وأنه تولى القضاء، ويبدو أن المراد القضاء في المجمعة، ومن تاريخ الوثيقة يتبين أنه من علماء القرن الحادي عشر الهجري، ولعل عبد القادر العديلي كان أحد تلاميذه، وأنه هو الذي خلفه في قضاء المجمعة.

(١٣٤) ورد في النسخة المطبوعة العمادية، والتصحيح من النسخة المخطوطة.

(١٣٥) فيد: كلمة عامية تفيد نسبة الشيء إلى من يملكه، أو من كان يملكه، أي أنها بمعنى ملك، ولا تزال مستخدمة في المنطقة.

(١٣٦) الطالعة: هي ما يضاف إلى مزارع النخيل القائمة من أراض مجاورة تستخدم لزراعة محاصيل موسمية أخرى، وقد تغرس بالنخل فيما بعد، وتبقى تحمل اسم الطالعة .

(١٣٧) العقدة: البلدة المحاطة بسور، والمراد هنا وسط البلدة .

حرمة، ومخزنه الذي يلي دار أخيه حمد"(١٣٨). وذكر ابن لعبون بعد ذلك ما ورد في الوثيقة من تفصيلات عن المستفيدين من الوقف، ثم قال: "هذا ما اختصرنا منها، فاستفدنا منها أمورًا، منها: تحقيق النسب، ومنها معرفة أبناء إسماعيل أنهم أربعة، ومنها تقدم غراس حرمة؛ لأن أملاكه التي ذكر مملوكة قبله وبالغة أشدها، كما سميت بملاكها"(١٣٩).

والذي يهمنا هنا خاصة ثلاثة أمور: سلسلة نسب الواقف، وتاريخ وثيقة الوقف، وتعليق ابن لعبون عليها ودلالته. أما الواقف فهو حفيد مؤسس حرمة المباشر، أي ابن ابنه، وهذا يعني أن المدة الزمنية بينهما قريبة لا تزيد على مئة عام في الغالب، أما تاريخ الوثيقة فهو سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م، وهو تاريخ موثق ثابت، قريب من الواقعة قيد المناقشة، ومن ثم يمكن أن يعول عليه كثيرًا في دراستها.

وإذا عدنا، في ضوء هذا المستند القوي، إلى التاريخ الذي حدده ابن لعبون لإعادة إعمار حرمة على يد إبراهيم بن حسين وهو سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م فسوف نجد أن الفارق الزمني بين الجد وحفيده يبلغ ثلاثمائة وعشر سنوات، بناء على تاريخ الوثيقة، وهذا غير مقبول عقلاً وواقعًا، فهل يعقل أن يعيش إبراهيم مئة عام بعد تأسيس حرمة

---

(١٣٨) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص١٠٣ .

(١٣٩) المصدر السابق، ص١٠٤ .

إضافة إلى ما عاشه قبل ذلك؟ وأن يعيش ابنه إسماعيل مائة وعشرة أعوام بعد وفاة أبيه، إضافة إلى ما عاشه معاصرًا له؟ وأن يعيش مانع بن إسماعيل مئة عام قبل أن يكتب وثيقة الوقف هذه، إضافة إلى ما عاشه قبل ذلك معاصرًا لوالده، وما عاشه بعد كتابة الوثيقة أيضًا؟ فابن لعبون نفسه ذكر أنه عاش بعد كتابة تلك الوثيقة فترة، لا نعرف مقدارها، رزق خلالها بولد وبنتين(١٤٠)، والخلاصة أن ما ورد في هذه الوثيقة يعد دليلاً دامغًا يضاف إلى غيره من الأدلة التي تؤكد أن تحديد تاريخ إعادة إعمار حرمة بسنة ٧٧٠هـ غير صحيح.

أما تعليق ابن لعبون على ما ورد في الوثيقة بقوله فاستفدنا منها أمورًا، وذكر منها: "تقدم غراس حرمة لأن أملاكه التي ذكرها مملوكة قبله، وبالغة أشدها، كما سميت بملاكها"، فهو دليل على أن ابن لعبون لا تتوافر لديه معلومات عن تاريخ عمارة حرمة وغرس نخيلها، ولهذا استدل على قدمه بما ذكر في الوثيقة من أن الأملاك التي وقفها مانع، وخاصة مزارع النخيل، كانت مملوكة قبله لآخرين، وأشجار النخيل فيها بالغة أشدها، والمعروف أن بلوغ النخيل أشدها لا يحتاج إلى مئات السنين، بل أن مدة أقل من ذلك بكثير، لا تكاد تبلغ خمسين عامًا فقط، كافية لبلوغ النخيل أشدها وتداولها بين أكثر من مالك، أما ثلاثمئة عام فهي كفيلة بفناء الغرس الأول، والحاجة إلى إعادة الغرس مرة أو مرات،

---

(١٤٠) المصدر نفسه.

وعلى أي حال فإن تعليق ابن لعبون على هذه الوثيقة يمكن أن يعد دليلاً آخر على أن تحديده السابق لتاريخ عمارة حرمة وغرس نخيلها تاريخ تقديري موغل في القدم لا يقوم على مستند.

٣ - من الحوادث ذات الدلالة في الموضوع الذي نناقشه، ما ذكره ابن لعبون نفسه عن زواج عويّش بنت مانع بن إسماعيل، صاحب وثيقة الوقف السابقة، التي وصفها ابن لعبون بأنها: "المشهورة بالجمال، والحلي الكثير، الذي تضرب به الأمثال"(١٤١)، فقد خطبها أمير العيينة المشهور عبدالله بن محمد بن معمر، وتزوجها وسارت معه إلى العيينة في هودج وأبهة وموكب حافل، وأمير العيينة المشار إليه تولى إمارتها سنة ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٥م، واستمر فيها حتى وفاته سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٦م(١٤٢).

وهذا الخبر يفيدنا في تحديد الفترة التي عاشت فيها عويش التي يفصلها عن جدها الأعلى إبراهيم بن حسين الذي أعاد إعمار حرمة أربعة أجيال فقط، فإذا كانت قد عاشت في أواخر القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر، فإن جدها إبراهيم يقدر أنه عاش في القرن العاشر الهجري.

٤ - ذكر ابن لعبون في حديثه عن نسب آل مدلج معلومات مفصلة، وقام بتتبع دقيق لفروع أسرة آل مدلج، وخاصة

---

(١٤١) المصدر نفسه.

(١٤٢) الفاخري، الأخبار النجدية، ص٨٠، ١٠٠؛ ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص٣٦٧؛ عبدالمحسن بن معمر، إمارة العيينة، ص٢٩١.

أبناء إبراهيم بن حسين بن مدلج، مؤسس حرمة، فقد تتبعهم جيلاً بعد جيل، وذكر أسماءهم حتى عصره بالتفصيل(١٤٣)، ولا غرو في ذلك، فهو منهم وعلى معرفة بهم، فضلاً عن أنه عالم مؤرخ نسابة. وقد تتبعنا سلاسل الفروع الأربعة المنتمية إلى إبراهيم بن حسين، من السنة التي ذكر ابن لعبون أنه أعد فيها هذه الشجرة، وهي سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م حتى جدهم الأعلى إبراهيم مؤسس حرمة، فتبين أن عدد الأجيال يتراوح بين سبعة وتسعة حسب اختلاف الفروع، ومعنى هذا وفق قاعدة حساب الزمن حسب عدد تتابع الأجيال أن الفارق بين الجيل المعاصر لسنة ١٢٥٥هـ وجدهم إبراهيم يبلغ نحو ثلاثمئة سنة، أي أن إبراهيم يقدر أنه من أهل القرن العاشر الهجري.

٥ - عند النظر في شجرة أسرة آل ماضي (أهل حرمة)، وهم من أحفاد إبراهيم بن حسين بن مدلج، نجد أن عدد الأجيال فيها من الجيل الأخير المعاصر لتاريخ إصدار الشجرة في سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م إلى جدهم الأعلى إبراهيم بن حسين يبلغ ثلاثة عشر جيلاً(١٤٤)، وهي تعادل من السنين ٤٣٣ سنة وفق قاعدة حساب الزمن بناء على عدد تعاقب الأجيال. وبناء عليه يقدر أن إبراهيم بن حسين عاش في القرن العاشر الهجري.

---

(١٤٣) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص١٠١-١١٠.

(١٤٤) انظر: موقع أسرة آل ماضي على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) (www.almadi.org).

وصفوة القول إن القرائن والأدلة السابقة كلها تشير إلى أن تحديد تاريخ إعادة إعمار حرمة بسنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، وهو التاريخ الذي ذكره ابن لعبون أولاً، ثم انتشر في أغلب المؤلفات، غير صحيح، وينبغي إعادة النظر فيه.

أما الرواية الأخرى التي أشار إليها ابن لعبون، وقال إنه سمعها من آل شبانة، والتي تحدد تاريخ نزول إبراهيم بن حسين حرمة وإعادة إعمارها بآخر القرن التاسع الهجري تقريبًا، نحو سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م، والتي لم يكتب لها حظ من الانتشار كالأولى، فهي بلا شك أقرب إلى الواقع، لكنها هي الأخرى لا تتوافق مع حسابات تعاقب الأجيال، التي تشير إلى أن مؤسس حرمة عاش في القرن العاشر الهجري، كما أنها لا تتوافق مع الفارق الزمني بين إعادة إعمار التويم على يد مدلج، الذي يرجح أنه كان في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وإعادة إعمار حرمة على يد حفيده إبراهيم بن حسين بن مدلج الذي يقدر أنه تم بعد نحو خمسين سنة تقريبًا، وبناء على هذه المعطيات فإننا نرجح أن إعادة إعمار حرمة كان في مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي).

رابعًا: المجمعة

المجمعة، بفتح الميم وإسكان الجيم وفتح الميم الثانية والعين، مدينة مشهورة، وهي قاعدة إقليم سدير، وأكبر مدنه في العصر الحاضر، وتقع على وادي المشقر، وتبعد عن مدينة الرياض نحو ١٨٥ كيلاً إلى الشمال الغربي، على دائرة

العرض ٢٥ درجة و ٥٤ دقيقة شمالاً، وخط الطول ٤٥ درجة و٢١ دقيقة شرقًا(١٤٥)، واسمها مشتق من كلمة (جمع)، والجمع يطلق على العدد الكبير من الناس، والمجمع والمجمعة الموضع الذي يجتمعون فيه، والمجمعة تطلق أيضًا على ما اجتمع من الرمال(١٤٦).

ولعل سبب تسميتها بالمجمعة يرجع إلى أنها حين أسست نواتها الأولى أخذ يجتمع فيها أسر وأفراد من قبائل متعددة، أو لأن موقعها الجغرافي تلتقي فيه عدة أودية وشعاب، والتعليلان التاريخي والجغرافي كلاهما له وجه وأساس في سجل تاريخها وفي طبيعة موقعها، ويبدو أن التعليل الأول هو الأقرب لواقع التسمية(١٤٧).

ولم يرد للمجمعة ذكر في المصادر والمعاجم الجغرافية القديمة- فيما أعلم- ولكن الهمداني أشار إلى مورد ماء يدعى منيخين، وقال إن به نخلاً قليلاً(١٤٨)، ويبدو أنه ما يعرف بمنيخ، وهو موقع قامت بقربه المجمعة فيما بعد(١٤٩)، وسبق أن أشرنا في الحديث عن بلدة حرمة إلى أن وادي

---

(١٤٥) هيئة المساحة الجيولوجية السعودية ودارة الملك عبدالعزيز، موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، ج٥، ص٢١.

(١٤٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٥٣-٥٤.

(١٤٧) يرجح الشيخ عبد الله بن خميس التعليل الثاني المتصل بالناحية الجغرافية المتمثلة في أن موقعها ملتقى عدة أودية (معجم اليمامة، ج٢، ص٣٣٤).

(١٤٨) صفة جزيرة العرب، ص٢٥٦.

(١٤٩) منيخ موقع معروف به جبل صغير عليه قلعة (مرقب)، وقد أصبح جزءًا من مدينة المجمعة بعد توسعها.

الحريم من منازل بني العنبر من تميم، كما بيّن الأصفهاني، وموقع المجمعة يدخل ضمن منازل بني العنبر في بطن وادي الحريم والمناطق المجاورة له، ومن المعروف أن بني العنبر كانت لهم مستوطنات زراعية مزدهرة في هذه المنطقة خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى، منها حرمة، وهي الأقرب إلى الموقع الذي قامت فيه المجمعة فيما بعد .

وبعد بني العنبر استوطن المنطقة بنو عائذ بن سعيد، كما ذكر ابن فضل الله العمري(١٥٠)، ثم ما لبثوا أن جلوا عنها، ويقدر أن رحيلهم كان في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وبقيت مواقع مستوطناتهم أطلالاً خالية من السكان فترة من الزمن، وخلال هذا كله لم يرد ذكر لاسم المجمعة، مما يدل على أنه لم يظهر بعد موقع أو مستوطنة تحمل هذا الاسم.

تأسيس المجمعة:

تأسست المجمعة على يد عبدالله الشمري، وهو من آل ويبار من عبدة من شمر، وأول من ذكر خبر عبدالله الشمري وتأسيس المجمعة ابن لعبون، وعنه نقل الآخرون، وكان عبدالله الشمري خيالاً وفارسًا، عمل فداويًا(١٥١) عند حسين

---

(١٥٠) مسالك الأبصار، ص١٥٠.

(١٥١) فداوي: تطلق على من يلازم الأمير في مغازيه، وينفذ ما يكلفه به من أمور عسكرية أو إدارية، وكثيرًا ما يكون عرضة للأخطار بسبب ذلك، ولهذا أطلق عليه فداوي أي فدائي، والعامة تسهل الهمزة دائمًا (انظر: حمد الجاسر، ملاحق كتاب تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى، ص٢٥٠) .

بن مدلج أمير التويم، وحظي بمكانة عالية لديه، وأصبح بمثابة المستشار والوزير(١٥٢).

ولم يذكر ابن لعبون ولا غيره معلومات عن الجهة التي قدم منها عبدالله الشمري، ولا أسباب رحيله عن قبيلته أو بلده، ولا تاريخ قدومه إلى التويم، ولكن آل ويبار الذين ينتمي إليهم كانت منازلهم في بلاد جبل شمَّر (حائل)(١٥٣)، فلعله قدم من هناك.

ومهما يكن الأمر فإن عبدالله الشمري استمر يعمل عند حسين بن مدلج، وبعد وفاة حسين بقي عند أولاده في التويم مدة، ثم انتقل إلى حرمة عند أميرها إبراهيم بن حسين، وحظي لديه بتقدير واحترام، وأقام عنده زمنًا، ثم بدا له أن ينفرد بمنزل مستقل، قريب من حرمة، يتوسع فيه بالحرث والغرس هو وذريته ومن ينضم إليه، وعرض هذا الأمر على إبراهيم بن حسين، فأذن له، وأشار أبناء إبراهيم على أبيهم أن يجعله جهة أعلى الوادي حتى لا يحول بينهم وبين سعة الفلاة والمرعى في الجهة الأخرى أسفل الوادي، فمنحه الموضع الذي عرف فيما بعد بالمجمعة، فنزل عبدالله فيه وشرع في عمارته وغرسه(١٥٤).

هكذا بدأت النواة الأولى لمدينة المجمعة، ثم ما لبثت أن أخذت في التوسع، وخاصة أن إبراهيم وأبناءه صاروا كلما

---

(١٥٢) ابن لعبون، تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص١٠٤.

(١٥٣) حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، دار اليمامة، الرياض، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج٢، ص٨٦٦ .

(١٥٤) ابن لعبون، تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٩.

قدم إليهم أحد من بني وائل أو غيرهم وطلب النزول عندهم في حرمة وجهوه للنزول عند عبدالله الشمري، طلبًا للسعة، وخوفًا من تضييقهم عليهم في المزارع والمراعي، ويعلق ابن لعبون على هذا بقوله: "ولم يخطر ببالهم النظر في العواقب، وأن أولاد عبدالله الشمري وجيرانهم لابد أن ينازعوهم بعد ذلك ويحاربوهم، فيكون من ضموه إليهم تقوية لهم عليهم"(١٥٥).

وكان من أبرز من قدموا في مرحلة التأسيس تلك ونزلوا مع عبدالله الشمري: جد التواجر، وهو من جبارة من عنزة، وجد آل بدر من الجلاس من عنزة، وجد آل سحيم من الحبلان من عنزة، وجد الثمارى من زعب من سليم وغيرهم(١٥٦)، ولعل هذا هو سبب تسميتها بالمجمعة؛ لأنها جمعت في تركيبتها السكانية منذ البدايات الأولى لتأسيسها عناصر من قبائل متعددة.

تاريخ تأسيس المجمعة ومناقشته:

أول من حدد تاريخًا لعمارة المجمعة هو ابن لعبون فقد قال بعد أن ذكر خبر عمران حرمة: "وعمارة بلد المجمعة سنة ٨٢٠هـ"(١٥٧)، أما ابن عيسى فقد جعل عمران المجمعة عنوانًا افتتح به أخبار القرن التاسع الهجري وقال تحته: "وفي سنة عشرين وثمانمائة عمرت بلد المجمعة المعروفة عمرها

---

(١٥٥) المصدر السابق، ص١٠٠.

(١٥٦) المصدر نفسه .

(١٥٧) المصدر السابق، ص٩٩.

عبدالله الشمري من آل ميبار(١٥٨) من عبدة من شمر"، وساق خبر عبدالله الشمري وتأسيس المجمعة منقولاً نقلاً حرفيًا عن ابن لعبون، ولم يذكر المصدر(١٥٩)، وورد خبر تأسيس المجمعة وتاريخه عند ابن بسام في موضعين من كتابه، وفي الموضعين كليهما صرح بأنه نقله من كتاب ابن لعبون الذي كتبه بخط يده وبقلمه(١٦٠).

وواضح من هذا أن كلاً من ابن عيسى وابن بسام نقلا ما ذكره ابن لعبون عن تأسيس المجمعة بنصه، ومنه تحديد تاريخ تأسيسها، ثم جاء المؤلفون والكتاب بعد ذلك فنقلوا هذا التاريخ، وأصبح من المسلمات التي يرددها كثير من الناس دون نظر أو نقاش(١٦١).

وسبق أن أشرنا في الحديث عن تاريخ إعادة عمارة حرمة أن ابن لعبون ذكر في نسخة أخرى من كتابه رواية قال إنه سمعها من آل شبانة جاء فيها: "أنهم رووا عمن قبلهم نقلاً نزول إبراهيم بن حسين حرمة في آخر القرن التاسع تقريبًا،

---

(١٥٨) الصواب آل ويبار .

(١٥٩) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص٣٢-٣٣.

(١٦٠) تحفة المشتاق، ص٦٥، ١٧٨-١٨١.

(١٦١) المؤلفات والأبحاث والمواقع الإلكترونية التي ورد فيها هذا التاريخ كثيرة يصعب حصرها، ولكن لابد من الإشارة هنا إلى أن الدكتور عويضة الجهني يعد من أول من توقف في قبول هذا التاريخ وشكك في صحته (Al- Juhany, op. cit. p.81). كما أن الدكتور عبدالله العسكر أشار إلى هذا الأمر في مقال نشره في جريدة الرياض، بعنوان: "لمحات تاريخية عن المجمعة " (العدد ١٣١٦٢، الأربعاء ٢٩/٥/١٤٢٥هـ، الموافق ٧/٧/٢٠٠٤م) .

نحو السبعين وثمان مائة، وظهور المجمعة بعد نزول إبراهيم بخمسين سنة"(١٦٢)، أي أن تأسيس المجمعة بناء على هذه الرواية كان سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م تقريبًا.

وتاريخ تأسيس المجمعة، كما هو ظاهر من سياق خبره، مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتاريخ إعادة إعمار كل من التويم وحرمة، فهو حدث بعدهما، وبناء عليه فتحديد تاريخ تأسيس المجمعة بسنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م تحديد يحتاج إلى إعادة نظر وتصحيح، وينطبق عليه ما سبق أن ذكرناه من أدلة وقرائن في مناقشة ونقد تحديد ابن لعبون لتاريخ إعادة إعمار كل من التويم وحرمة، ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن سلسلة أنساب أحفاد مؤسس المجمعة عبدالله الشمري الذين حددت المصادر تواريخ وفياتهم، أو ذكرت الفترة التي عاشوا فيها تؤيد هذا أيضًا، ومنهم على سبيل المثال:

١ - الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف بن عبدالله الشمري، العالم المشهور الذي انتقل من المجمعة إلى المدينة المنورة واستقر بها، ولقب بالفرضي لعمق معرفته بعلم الفرائض، وأصبح هذا لقبًا لأسرته في المدينة بعد ذلك(١٦٣)، وهو من شيوخ الشيخ محمد بن عبدالوهاب، التقى به في المدينة المنورة وأخذ عنه(١٦٤)، والشيخ

---

(١٦٢) تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص١٠٤،٩٩.

(١٦٣) ابن بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج٤، ص٦ .

(١٦٤) ابن غنام، حسين، تاريخ نجد (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام)، تحرير وتحقيق ناصر الدين الأسد، الرياض، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٧٦.

عبدالله توفي بالمدينة سنة ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م(١٦٥). وهو والد الشيخ إبراهيم بن عبدالله العالم الفرضي المشهور بالمدينة المنورة أيضًا، مؤلف كتاب "العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض"(١٦٦)، المتوفى سنة ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م(١٦٧).

وعدد الأجيال بين الشيخ عبدالله بن إبراهيم وجده الأعلى عبدالله الشمري مؤسس المجمعة ثلاثة أجيال فقط، وهذا يعني وفق حساب التاريخ بناء على قاعدة تعاقب الأجيال أن وفاة عبدالله الشمري يقدر أنها كانت في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، ولو أخذنا برواية ابن لعبون، التي تحدد تاريخ تأسيس المجمعة بسنة ٨٢٠هـ، فمعنى هذا أن الفارق بينه وبين حفيده يبلغ نحو ثلاثمئة سنة، وهو أمر مستبعد، كما أنه يعني أن عبدالله الشمري عاش بعد تأسيسه للمجمعة نحو مئتي سنة، وهذا أمر مستحيل .

---

(١٦٥) الأنصاري، عبد الرحمن، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي، تونس، ١٩٧٠م، ص٣٨٦-٣٨٧. والأنصاري من المعاصرين للشيخ عبد الله، وقد وصفه بأنه لا نظير له في علم الفرائض حتى كاد أن يكون زيد زمانه، وقد سماه هو وأولاده وأحفاده بيت الفرضي، وعدهم ضمن أهل المدينة .

(١٦٦) ابن غنام، تاريخ نجد، ج١، ص٧٦؛ ابن بسام، علماء نجد، ج١، ص٣٧٢ .

(١٦٧) الأنصاري، تحفة المحبين، ص٣٨٧. وقد ذكر ابن لعبون أن وفاته كانت سنة ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م (تاريخ ابن لعبون، ص١٠٠) .

٢ - أمير المجمعة منصور بن حمد بن علي بن سيف بن عبدالله الشمري، الذي تولى إمارة المجمعة سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م(١٦٨)، واستمر فيها حتى وفاته سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م(١٦٩)، ومنصور يفصله عن جده الأعلى مؤسس المجمعة أربعة أجيال فقط(١٧٠)، أي أن المدى الزمني بينهما بناء على قاعدة تعاقب الأجيال يقدر بنحو

---

(١٦٨) المنقور، تاريخ المنقور، ص٧٤؛ ابن لعبون، تاريخ ابن لعبون، تحقيق عبدالعزيز بن لعبون، ص٣١٩.

(١٦٩) الفاخري، الأخبار النجدية، ص١٠٠؛ ابن عباد، تاريخ ابن عباد، ص٨٠؛ ابن بسام، تحفة المشتاق، ص١٨٤.

(١٧٠) هذا وفق ما ورد عند ابن لعبون الذي تحدث عن عبدالله الشمري وأولاده وأحفاده وتتبعهم بقدر من التفصيل (تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص١٠٠-١٠١)، وقد ورد مثل ذلك عند ابن عيسى الذي قال في إحدى مذكراته أنه سأل أهل المجمعة عن عبدالله الشمري، وذكر ما سمعه منهم وفيه معلومات عن أبنائه وأحفاده (انظر: أحمد البسام، قراءة في بعض المذكرات والرسائل الشخصية للشيخ المؤرخ النسابة إبراهيم بن عيسى، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١١٦). أما في شجرة نسب أسرة آل مزيد وهم من أحفاد سيف بن عبدالله الشمري فقد ورد تسلسل النسب على النحو التالي: "..... بن علي بن سيف بن عبدالله بن سيف بن عبدالله الشمري" بذكر سيف بن عبدالله مرتين وهذا يعني زيادة جيلين في السلسلة (انظر: شجرة أسرة آل مزيد، إعداد أحمد بن عثمان المزيد، شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) موقع أنساب أون لاين)، ولو صح هذا لأصبح عدد الأجيال بين الشيخ عبدالله بن إبراهيم وجده الأعلى مؤسس المجمعة خمسة أجيال، وعدد الأجيال بين أمير المجمعة منصور بن حمد بن علي وجده المؤسس ستة أجيال، وهذا يعني تطابق دلالة سلسلة النسب أو تقاربها مع رواية آل شبانة التي تحدد تاريخ تأسيس المجمعة بسنة ٩٢٠هـ، لكن ما ورد في الشجرة محل نظر لتعارضه مع ما ورد عند ابن لعبون وابن عيسى، إلا إن وجد من الوثائق ما يعززه.

١٣٣ سنة، وهذا يعني أن وفاة مؤسس المجمعة تقدر في مطلع القرن الحادي عشر الهجري، وهذا بعيد جدًا عن التاريخ الذي حدده ابن لعبون لتأسيس المجمعة.

وحتى يكون النظر في أمر تحديد تاريخ تأسيس المجمعة ومناقشته مستوعبًا لكل الأخبار ذات الدلالة، لابد من الإشارة هنا إلى خبرين انفرد بذكرهما ابن بسام أولهما ورد في أحداث سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م، وجاء فيه قوله: "وفيها وقع اختلاف بين أهل المجمعة وأهل حرمة، ومشى بعضهم على بعض، وحصل بينهم رمي بالبنادق من بعيد، وأصيب من أهل المجمعة ثلاثة رجال ومن أهل حرمة اثنان"، وذكر أن الفتنة والخلاف استمرت بينهم طوال تلك السنة، ثم تصالحوا في السنة التالية(١٧١).

أما الخبر الآخر فورد في أحداث سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م، وجاء فيه قوله: "وفي هذه السنة وقع اختلاف بين آل سيف بن عبدالله الشمري، وبين بني عمهم آل دهيش بن عبدالله الشمري عند رياسة بلد المجمعة، وكان أهل حرمة قد وعدوا آل دهيش النصرة، فقام جماعة من أهل المجمعة وأصلحوا بينهم"(١٧٢). ومضمون هذا الخبر يدل على أن عبدالله الشمري قد توفي قبل ذلك التاريخ، ووقع الخلاف بين أحفاده من أبناء سيف وأبناء دهيش على الزعامة والإمارة في المجمعة.

---

(١٧١) تحفة المشتاق، ص٥٤.

(١٧٢) المصدر السابق، ص٦٤.

وما يهمنا هنا أن ما ورد في هذين الخبرين يدل على وجود المجمعة قبل سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، وهذا يتعارض مع رواية آل شبانة، كما أنه يتعارض مع نتائج الحساب وفق سلاسل النسب، والواقع أن الأمر يبقى مثار تساؤل، فما ذكره ابن بسام لا يمكن تخريجه أو الجمع بينه وبين الرواية والدلائل التي تشير إلى أن تأسيس المجمعة كان سنة ٩٢٠هـ أو بعد ذلك، إلا أن يكون قد وقع في تاريخ الخبرين خطأ أو وهم، وهو ما نرجحه، فابن بسام لم يذكر مصدر الخبرين، والخبران يرجعان إلى تاريخ يسبق عصره بنحو أربعة قرون، فاحتمال وقوع الوهم والخطأ فيهما وارد، ثم إن ابن لعبون، وهو المؤرخ الأقرب زمانًا ومكانًا، والأكثر اهتمامًا بتاريخ كل من حرمة والمجمعة لم يذكر هذين الخبرين، ولم يذكرهما أيضًا مؤرخو نجد الآخرون، ومنهم المنقور والفاخري، وابن بشر، وكلهم من أهل المنطقة، ومن المهتمين بتاريخها.

وصفوة القول إن التاريخ التقريبي الذي حدده ابن لعبون لتأسيس المجمعة وهو سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م، والذي شاع وانتشر، تاريخ متقدم، وبعيد عن الواقع، ويتعارض مع أدلة وقرائن كثيرة، ولذلك ينبغي إعادة النظر فيه وتصحيحه.

أما التاريخ الآخر الذي ذكره ابن لعبون أيضًا رواية عن آل شبانة وهو سنة ٩٢٠هـ فهو أقرب إلى القبول، لولا أنه يؤخذ عليه تعارضه مع الخبرين اللذين رواهما ابن بسام، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يلاحظ وجود فارق زمني طويل نسبيًا بين هذا التاريخ ونتيجة حساب التاريخ وفق تعاقب

الأجيال، فهذه الحسابات تعطي دلالة تشير إلى أن عبدالله الشمري عاش في فترة لاحقة لهذا التاريخ.

وبناءً على ما سبق فإن تحديد تاريخ تأسيس المجمعة يبقى محل تساؤل في ضوء الأخبار والقرائن ذات الدلالات المتعارضة، حتى يظهر من الوثائق التاريخية والأدلة ما يحسم هذا الأمر ببرهان قاطع، أو ترجيح ظاهر معزز بقرائن، وإن كنا نميل إلى أنه كان في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري.

خامساً: جلاجل

جلاجل، بضم الجيم الأولى وكسر الثانية، إحدى مدن إقليم سدير، تقع على ضفة وادي المياه (أبا المياه)، وتبعد عن الرياض نحو ١٧٠كيلاً إلى الشمال الغربي، وتبعد عن مدينة المجمعة نحو ٣٠ كيلاً إلى الجنوب، وهي على دائرة العرض: ٢٥ درجة و٤١ دقيقة شمالاً، وخط الطول: ٤٥ درجة و٢٨ دقيقة شرقًا(١٧٣)، واسمها مأخوذ من الجلجلة، وهو الصوت الذي يصدر عن الحركة، ومنه صوت مياه السيول أثناء انحدارها وجريانها بين صخور الأودية(١٧٤).

ولجلاجل ذكر في المصادر التاريخية، فالأصفهاني عدها ضمن ديار بني العنبر من تميم(١٧٥)، وذكر في موضع آخر أن

---

(١٧٣) عبدالله بن خميس، معجم اليمامة، ج١، ص٢٧٣؛ إبراهيم بن سليمان الأحيدب، جلاجل، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٣، ٤٤.

(١٧٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص١٢١ - ١٢٢؛ عبدالله بن خميس، معجم اليمامة، ج١، ص٢٧٣.

(١٧٥) بلاد العرب، ص٢٦٢.

بني عوف بن مالك بن جندب، وهم من بني العنبر، كانوا يسكنون جلاجل والبلاد المجاورة لها(١٧٦)، وذكر ابن الفقيه، عندما عدد أنواع النخيل في اليمامة، نوعًا منها يدعى صرفان جلاجل(١٧٧)، وهذا يدل على أن جلاجل كانت مستوطنة زراعية في القرون الهجرية الأولى.

وتشترك جلاجل في مسار تاريخها مع البلدات المجاورة لها، وخاصة التويم وحرمة، فقد رحل عنها بنو العنبر لأسباب لا نعرفها، وحل محلهم بنو عائذ بن سعيد، فابن فضل الله العمري عندما تحدث عن عرب العارض عد جلاجل من منازل بني عائذ(١٧٨)، لكن هؤلاء ما لبثوا أن جلوا عنها مثلما جلوا عن التويم وحرمة.

إعادة إعمار جلاجل:

يلف الغموض تاريخ جلاجل خلال الفترة الممتدة من تاريخ جلاء بني عائذ بن سعيد من المنطقة، الذي يقدر أنه كان في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، حتى مطلع القرن الحادي عشر الهجري، وهذه الفترة هي التي أعيد خلالها إعمار جلاجل، وهي العمارة التي استمرت إلى عصرنا هذا.

وإذا كانت مصادر تاريخ نجد قد أمدتنا بمعلومات عمّن قام بإعادة إعمار كل من الروضة والتويم وحرمة والمجمعة، فإنها لم تذكر شيئًا عن إعادة إعمار جلاجل، لذلك لا نعرف

---

(١٧٦) المصدر السابق، ص٢٥١.

(١٧٧) مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٨٨٥م، ص٢٩-٣٠.

(١٧٨) مسالك الأبصار، ص١٥٠.

على وجه اليقين أول من سكنها وأعاد إعمارها بعد جلاء بني عائذ عنها، ولا تاريخ ذلك.

وقد ذكر الشيخ عبدالله بن خميس، وهو باحث معاصر، أن بلدة جلاجل أعيدت عمارتها في مكانها الآن وبوضعها عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م(١٧٩). ولم يذكر المصدر أو المستند الذي اعتمد عليه في تحديد هذا التاريخ، ويبدو أنه من باب الاجتهاد، لكنه لم يبين وجه الاجتهاد ومسوغاته، ولعله قاسه على ما ذكره ابن لعبون بشأن إعادة إعمار التويم، وسبق أن ناقشنا بالتفصيل أمر تحديد تاريخ إعادة إعمار التويم بسنة ٧٠٠هـ، وبينا أنه غير صحيح، ثم إن القياس هنا غير وارد لأنه لا يوجد رابط، فإعادة إعمار جلاجل لم يقم بها بنو وائل الذين أجلوا من أشيقر، ولا علاقة لهم به.

والأهم من هذا كله أن تحديد إعادة إعمار جلاجل الأخيرة بسنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م يتعارض مع ما ذكره ابن فضل الله العمري، الذي عاش في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (ت٧٤٩هـ) وذكر - كما أسلفنا - أن بلدة جلاجل من منازل بني عائذ بن سعيد، ووصف المنطقة بأنها بلاد خير وذات زروع وماشية وقرى عامرة(١٨٠)، وهذا يدل على أن بلدة جلاجل كانت سنة ٧٠٠هـ بلدة عامرة لا يزال يقطنها بنو عائذ بن سعيد، وإعادة إعمارها الأخير كان بعد جلاء بني عائذ عنها.

---

(١٧٩) معجم اليمامة، ج١، ص٢٧٣؛ تاريخ اليمامة، ج١، ص٣٢.

(١٨٠) مسالك الأبصار، ص١٥٠.

ومن خلال تتبع ما ورد عن جلاجل من معلومات وأخبار في مصادر تاريخ نجد يتبين أنه لم يرد لها ذكر قبل القرن الحادي عشر الهجري، أما خلال هذا القرن وما بعده فقد ورد عنها أخبار ومشاركات في الأحداث تدل على أنها كانت بلدة قوية وذات شأن وتأثير في المنطقة، وما يهمنا في هذا المقام هو الأخبار والمعلومات التي يمكن أن يستنتج منها ما له دلالة في موضوع محاولة تحديد تاريخ إعادة عمارتها، ومن قام بذلك. ولعل أهم الأخبار ذات الدلالة ما ورد في أحداث سنة ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م التي حدثت فيها وقعة القاع المشهورة بين بلدي جلاجل والتويم، وقتل فيها أميرا البلدين(١٨١)، وقد ذكرت المصادر اسم أمير جلاجل وسلسلة نسبه وهو: إبراهيم بن سليمان بن حماد بن عامر من آل خميس بن عامر من البدارين من قبيلة الدواسر(١٨٢)، والمصادر التاريخية وكتب الأنساب تذكر أن كثيرًا من الأسر في جلاجل هم من أحفاد هذا الأمير أو من أسرته من آل خميس(١٨٣)، كما أن إمارة جلاجل استمرت في أحفاده إلى العصر الحاضر.

---

(١٨١) ابن لعبون، تاريخ ابن لعبون، تحقيق عبد العزيز بن لعبون، ص٢٤٩؛ الفاخري، الأخبار النجدية، ص٧٦؛ ابن بسام، تحفة المشتاق، ص١٣٣.

(١٨٢) ابن لعبون، تاريخ ابن لعبون، نشر مكتبة المعارف، ص٩٨؛ ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص٦٥.

(١٨٣) منهم السويد، وفيهم الإمارة، والفوزان، والمنديل، والتركي، والخميس، والمنصور، وكلهم من أحفاد إبراهيم بن سليمان، ويلتقي معهم في خميس أسر أخرى كثيرة في جلاجل، منهم: الواصل، والثاقب، والفائز، والعمر، والداحس، والجلاجل.

ومن خلال استقراء تاريخ بلدان نجد يتبين أن إمارة البلدة تكون غالبًا في يد مؤسسها، ثم في أبنائه وأحفاده، وهذا نمط تكرر في البلدان المجاورة لجلاجل التي سبق أن تحدثنا عنها وهي: الروضة والتويم وحرمة والمجمعة، كما أنه السمة الغالبة في بلدان أخرى كثيرة منها: الدرعية، والعيينة، وحريملاء، وغيرها. وبناء عليه فمن المرجح أن جلاجل لم تخرج عن هذا السياق، ومن ثم فمن المحتمل أن إعادة إعمار جلاجل تمت من قبل عامر بن خميس البدراني الدوسري ومن قدم معه من أقاربه. أما تاريخ ذلك فيمكن تحديده عن طريق سلسلة نسب حفيده أمير جلاجل إبراهيم بن سليمان الذي قتل سنة ١٠٨٤هـ، فالفاصل بين الجد والحفيد ثلاثة أجيال، وهي تعادل مئة سنة، وبناء عليه يقدر أن عامرًا توفي سنة ٩٨٤هـ تقريبًا، ومن ثم يقدر أن إعادة إعمار جلاجل كانت في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، ولعلها في حدود سنة ٩٧٠هـ تقريبًا.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن من بين الروايات الشفهية المتناقلة رواية تذكر أن جلاجل كانت بيد آل محدث، من بني العنبر من تميم قبل نزول آل خميس الدواسر بها، وكان آل محدث ومنهم آل هبدان، يزرعونها (بعلًا) في أوقات نزول الأمطار الوسمية، ثم إن آل خميس عرضوا على آل محدث مقايضة جلاجل ببلدة الخيس(١٨٤)، فوافق آل محدث، ومن

---

(١٨٤) الخيس: بلدة صغيرة قرب المجمعة سبق التعريف بها. أما عن علاقة آل خميس ببلدة الخيس فلا تتوافر عنها معلومات، وإن كانت الرواية صحيحة فلعلهم نزلوها فترة قبل انتقالهم إلى جلاجل.

هنا جاء في الأمثال العامية: "يباعٍ جلاجل بالخيس مثل المحول من الدرجة"، ويضرب مثلاً لمن يستبدل الشيء الغالي الثمين بما هو دونه قيمة(١٨٥).

وهذه الرواية لها ما يدعمها ويعززها في سياق تاريخ المنطقة، فآل محدث كان لهم مكانة وشهرة وأملاك في مواضع كثيرة في المنطقة خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين. وعلى أي حال فسواء كان نزول آل خميس في جلاجل قد تم عن طريق الشراء من آل محدث، أو عن طريق الإحياء المباشر، فهم الذين تسنموا إمارتها، وتوسعوا في عمارتها، وأصبح لهم شأن فيها.

والخلاصة أن تحديد تاريخ إعادة إعمار جلاجل بسنة ٧٠٠هـ، الذي ذكره الشيخ عبدالله بن خميس، وأخذه عنه آخرون، لا تسنده المصادر والوثائق التاريخية، وهو يتعارض مع أدلة وقرائن تشير إلى عدم صحته، ومن ثم ينبغي إعادة النظر فيه وتصحيحه، ولعل التحديد التقريبي الذي أشرنا

---

(١٨٥) عن هذه الرواية انظر: عبدالله بن حمد العسكر، أعلام من بلدة الخيس في سدير، جريدة الرياض، العدد ١٣٩٩٠، الجمعة ١٤٢٧/٩/٢١هـ، الموافق ٢٠٠٦/١٠/١٣م؛ عثمان الصالح الصوينع، الرياض عاصمة الدولة السعودية، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٢٦٥. وقد ورد عنده أن ابن هبدان باع موضع جلاجل على جد أسرة آل سويد، وذكر أن الشاعر المشهور حميدان الشويعر قال في هذا المعنى بيت شعر هو:

يباع جلاجل بالخيس مثل محول مع الدرجه

وقد بحثت عن هذا البيت فيما استطعت الوصول إليه من مظان شعر حميدان فلم أجده.

إليه، وهو النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (٩٧٠هـ) تقريبًا، هو الأقرب للواقع، بناء على دلالات المعلومات المتوافرة حاليًا.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة بالقراءة الفاحصة الناقدة ما شاع وانتشر في كثير من المؤلفات والبحوث والمواقع الإلكترونية من تقديرات واجتهادات لتاريخ تأسيس أو إعادة إعمار خمس من البلدات النجدية، وتلك التقديرات أصبحت عند كثيرين أشبه بالمسلمات، على الرغم مما فيها من خلل. ومحور هذه الدراسة هو مناقشة هذا الأمر مناقشة علمية مبنية على استقصاء المعلومات والأخبار، ثم المقارنة بينها، والاستفادة من معطياتها، وتجاوز مجرد النقل، وتكرار ما ذكره السابقون دون إعمال للفكر ومقارنة للأحداث، إلى إخضاع الخبر للقراءة الناقدة الفاحصة المحللة، والكشف عما يحمله من تناقضات في ثناياه، أو مع معلومات ومصادر أخرى، أو مخالفة لمقتضيات النظر العقلي، القائم على الاستنباط المنطقي، المعزز بالقرائن النقلية. كل ذلك من أجل دفع الوهم، وتجلية الأمر، وتصحيح التناقضات غير المنطقية في بعض المعلومات في تاريخ تلك البلدات، التي قد تثير الشك، وتفقد المصداقية، وتجعل القارئ المدقق في حيرة من أمره.

ولعل من المناسب في ختام هذه الدراسة الإشارة إلى بعض الأمور، وإلى بعض التوصيات، ومنها:

أولاً: أن طرح آراء بعض المؤرخين والباحثين وتقديراتهم ورواياتهم، للدراسة والنقد، لا ينقص من قدر هؤلاء المؤرخين، وعلى رأسهم العالم المؤرخ النسابة حمد بن محمد بن لعبون – رحمه الله –، الذي ناقش البحث رواياته وتحديداته لتاريخ إعمار التويم وحرمة والمجمعة، فابن لعبون يعد رائدًا من رواد تدوين التاريخ المحلي لبلاد نجد، وقد قدم معلومات مهمة جدًا، لم يسبق إليها، سدت نقصًا في تاريخ هذه البلاد، التي يعاني تاريخها من ندرة المعلومات، كما أن مؤلفاته تعد مصدرًا أصيلاً وموردًا ثريًا اعتمد عليه من جاء بعده من المؤرخين.

ثانيًا: يبدو أن النزعة العاطفية الفطرية المتمثلة في الاعتزاز بقدم عمران البلدات والمدن، وعراقة تاريخها، هي من أسباب الميل – من غير قصد في أحيان كثيرة – إلى تقدير تواريخ متقدمة لعمران بعض البلدات والمدن. يضاف إلى ذلك أمر آخر لا يقل أثرًا، وهو ارتباط تأسيس المدن وإعادة إعمارها بشخصيات، ثم أسر تنامت عبر الأجيال، وهذا يجعل المنتمين إليها يتعلقون بتلك التواريخ المتقدمة؛ لأنها تعطي مزيدًا من العراقة الزمنية لتلك الشخصيات والأسر والبلدات(١٨٦).

---

(١٨٦) ذكر أحد الباحثين تفسيرًا وتعليلاً لظاهرة تقديم تواريخ تأسيس التويم وحرمة والمجمعة، مفاده أن هذا الأمر قد يكون مقصودًا من قبل سكانها القدماء، وذلك لأهداف سيادية واقتصادية، منها تأكيد حقوقهم في الزعامة والملكية أمام المستوطنين الجدد الذين توافدوا إلى تلك البلدات بعد مرحلة التأسيس. إضافة إلى أمر آخر لا يقل=

ولهذا فإن مثل هذه الدراسة التي تضع تلك التواريخ على محك النقد والتمحيص والتحليل، وتذهب إلى أن بعضها مبالغٌ فيه، وينبغي إعادة النظر فيه وتصحيحه، قد لا تجد قبولاً عند بعضهم؛ لأنها تتعارض مع النزعة العاطفية الفطرية لحب العراقة الزمنية للمدن والأسر والفخر بذلك.

ثالثًا: ضرورة إجراء دراسات علمية أثرية ميدانية على مواقع الاستيطان البشري في المدن والقرى، تتدارك ما بقي قائمًا فيها من شواهد ومعالم، وتكشف عما تحتها من مخلفات أثرية، قبل أن تجهز عليها عوادي الزمان. ومثل هذا العمل كفيل - بإذن الله - أن يكشف عن معلومات جديدة مفيدة في تاريخ المدن والقرى، تسهم في سد النقص، وجلاء الغموض، ووصل المنقطع.

رابعًا: دعوة الأفراد والأسر إلى التعاون في مجال توثيق تاريخ المدن والقرى التي ينتمون إليها، من خلال ما لديهم من

= أهمية، هو أن سكان البلدات النجدية كانوا يمارسون عادة الحمى وفرض السيادة على المراعي والأراضي الصالحة للزراعة، ومنها البعلية، في المناطق المحيطة ببلداتهم، وكانت تحدث بعض الخلافات بين البلدات المتجاورة حول هذا الأمر أحيانًا، والأقدمية في هذه الأحوال تعطي أولوية وحقًا تجاه الآخر. ولهذا لا يستبعد أن سكان هذه البلدات الثلاث، وعلى رأسهم بنو وائل، ومنهم ابن لعبون، رغبوا في دفع تواريخ تأسيس بلداتهم نحو القدم لأجل أن يقوي ذلك من حقوقهم في هذه المستوطنات والأحماء الموجودة حولها (AL- Juhany, op. cit. pp. 80-81). وعلى الرغم من وجاهة هذا الرأي، من الناحية المنطقية، إلا أنه لا يوجد من الوقائع والأحداث ما يدعمه، فيما أعلم؛ ولهذا يبقى، فيما أرى، اجتهادًا علميًا قابلاً للصواب والخطأ.

وثائق أوقاف، أو بيع وشراء، ونحوها، وأيضًا ما لديهم من معلومات موثقة عن تسلسل الأنساب، وكل ما من شأنه توفير مادة علمية موثقة تثري تدوين تاريخ تلك المدن والقرى، وتصل ما انقطع من حلقاته، وتكشف جوانب الغموض فيه.

وأخيرًا؛ فإننا نؤكد مرة أخرى أن على الباحث - أي باحث - أن يتجاوز عمله الاقتصار على جمع المعلومات وتكرار ما ذكره السابقون إلى بحث الجزيئات بحث استقصاء ومقارنة ونقد وتحليل واستنتاج، يسهم في سد النقص، وربط الأحداث، وجلاء الغموض ما أمكن، وخاصة في تاريخ الأقاليم والفترات التي تعاني من قلة المصادر وندرة المعلومات.

وأرجو أن تكون هذه الدراسة المتواضعة قد سلطت الضوء على جملة من المعلومات المهمة في تاريخ بعض مدن بلادنا ظلت تتداول دون تمحيص ونظر ومقارنة، على الرغم مما فيها من خلل، كما أرجو أن يكون في ثناياها ما يضيف جديدًا على سبيل اليقين المدعم بالأدلة، أو الرجحان الظاهر المؤيد بالقرائن، أو الاحتمال المقبول المتوافق مع معطيات النقل ومقتضيات العقل.

وآمل أن تكون دافعًا لمزيد البحث والاستقصاء من قبل المهتمين ممن يملكون معلومات ومصادر لم يتوصل إليها الباحث، أو آراء وتحليلات أخرى، تعزز ما ذهبت إليه الدراسة، أو تفنده وتصححه، فالهدف هو إثراء المعرفة التاريخية وخدمة تاريخ بلادنا في مختلف جوانبه، ومنها سجل تاريخ مدنه وقراه.

موقع روضة سدير والتويم وجلاجل والمجمعة وحرمة وأشيقر

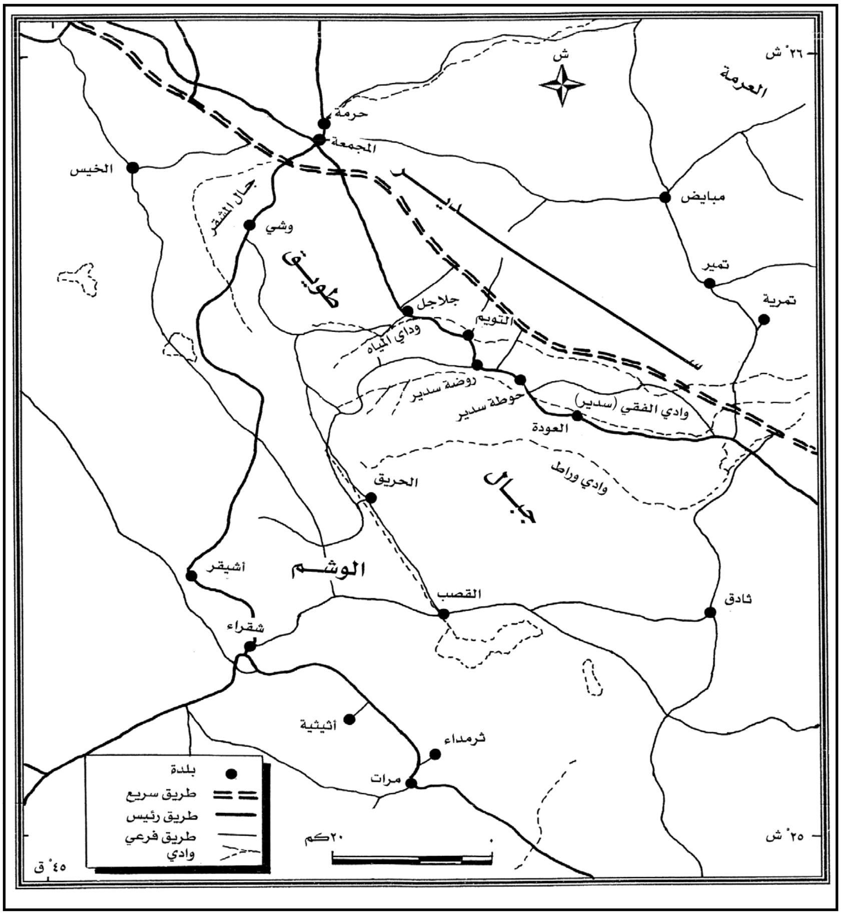
ش
٢٦° ش
العرمة
حرمة
المجمعة
الخيس
مبايض
جال الشقر
وشي
طويق
تمير
تمرية
جلاجل
التويم
وداي المياه
روضة سدير
حوطة سدير
وادي الفقي (سدير)
العودة
الحريق
جبال
وادي وراط
أشيقر
الوشم
القصب
ثادق
شقراء
أثيثية
ثرمداء
مرات
بلدة
طريق سريع
طريق رئيس
طريق فرعي
وادي
٢٠كم
٢٥° ش
٤٥° ق

المصدر: أعدت هذه الخريطة بالاستعانة بأطلس المملكة العربية السعودية، لوحة رقم (٨)، ص٢٢٦

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

رثاء الملك عبدالعزيز
في الشعر السعودي
"دراسة موضوعية فنيَّة"

تأليف
متعب بن عوض الغامدي

٢٦٦ صفحة

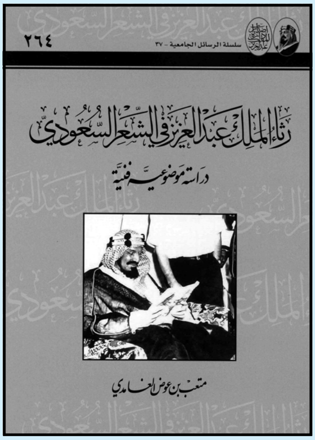

٢٦٤
سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٧
رثاء الملك عبدالعزيز في الشعر السعودي
دراسة موضوعية فنية
متعب بن عوض الغامدي

يتحدث عن رثاء الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - في الشعر السعودي، إذ يتناول شخصية الملك عبدالعزيز الثرية بالمواهب وفيض العطاء وعظم الأثر، وتأثيرها في أصحاب المراثي، ويبين روافد تلك الشخصية من العبقرية والإمامة والمروءة وكمال العقل والشجاعة.

كما يتحدث عن الصدمة الكبرى التي هزت العالم بأسره بوفاة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وانعكست على الشعر السعودي، الذي جسد مرارة الألم وفداحة المصيبة؛ فانطلق الشعراء يعبرون عن مكنوناتهم وأحاسيسهم المفجوعة.

الدارة
ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa